(U.P. ARA/2000/2341)
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-5) March 2001 (Monthly)

صدر حديثا :

محاضرات إسلامية

في الفكر والدعوة

لسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

جمعها وحققها وعلق عليها

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

Printed and Published by AT HAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Offset Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.
Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi

المجلد ٣٤٦

شعارنا التوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد السادس | مجلة اسلامية شهرية جامعة | صفر المظفر ١٤٢٢هـ

المجلد السادس والأربعون

في هذا العدد

الخط الفاصل
بين دعوة ودعوة
الأحرف السبعة
للقرآن الكريم
ادّعاءات النبوة بعد ختم النبوة
الرحمة في الإسلام
موقف المسلم
من عقيدة التوحيد !
زيارة المرضى .. وآدابها
الجهاد .. مفهومه ومشروعيته
معجم التأويل في ألفاظ التنزيل
حول إشكاليات النقد التطبيقي
لدى أدباء "الإسلامية"
قابل طفلك
بين الحقائق والأحلام
الى رحمة الله تعالى

تصدرها : مؤسسة الصحافة و النشر

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السادس والأربعون

العدد السادس
صفر المظفر ١٤٢٢هـ
أبريل ٢٠٠١م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد
في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين
زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد
في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم
واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته
ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة
هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة
من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :

﴿ ليتفقّهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

وبعد ! فأحمد اللّه سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من اللّه سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق اللّه ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

واللّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

من أقوال الإمام الندوي:

★ الخط الفاصل بين دعوة ودعوة — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية :

★ موقف المسلم من عقيدة التوحيد ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي :

★ الأحرف السبعة للقرآن الكريم (دراسة عميقة متزنة) — فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني — ٨
★ ادّعاءات النبوة بعد ختم النبوة — د/محمد السيد علي بلاسي — ٢٠

الدعوة الإسلامية :

★ الرحمة في الإسلام — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣١
★ زيارة المرضى .. وآدابها — د/محمد بن سعد الشويعر — ٤١
★ الجهاد .. مفهومه ومشروعيته — الأستاذ تاج محمد — ٥٠

دراسات و أبحاث :

★ معجم التأويل في ألفاظ التنزيل — د/عبد الرحمن وار — ٦٠

في النقد و الأدب :

★ حول إشكاليات النقد التطبيقي لدى أدباء "الإسلامية" — أ.د/عماد الدين خليل — ٦٩
★ قابل طفلك — الأستاذ أنيس جشتي (بونا) — ٨٠

صور و أوضاع :

★ بين الحقائق والأحلام — الأستاذ واضح رشيد الندوي — ٨٩

إلى رحمة الله تعالى :

★ الأستاذ الدكتور محمد يونس النجرامي الندوي ، في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٤
★ الأستاذ محمد شبير الندوي ، في ذمة الله تعالى — . . . — ٩٦
★ الأخ العزيز محمد زبير الندوي البهتكلي ، في ذمة الله تعالى — . . . — ٩٧
★ كلمة عزاء إلى سعادة الشيخ محمد العميل -الرياض — . . . — ٩٨

إصدارات حديثة :

★ — قلم التحرير — ٩٩
★ — . . . — ٩٩
★ — . . . — ١٠٠
★ — . . . — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

★الإمام الندوي يقول :

الخط الفاصل بين دعوة ودعوة

"السمة الأولى لهذا الدين ، وشعاره المميز الأول التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شئ ، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد ﷺ ، يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم ، يدعون إليها ، ويطالبون بها ، لا يقبلون عنها صرفاً ولا عدلاً ، ولا يبغون بها عوضاً ، ولا بدلاً ، وإن أفضل حياة خلقاً وسلوكاً ، ورحمة وبراً ، واستقامة وسداداً ، وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة ، أو إنشاء مجتمع ، أو إحداث انقلاب ، لا قيمة له عندهم إذا لم يقترن كل ذلك بعقيدة جاؤا بها، ودعوا إليها ، ولم يقم كل هذه الجهود على أساسها ، وهذا هو الخط الفاصل الواضح العريض بين دعوة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وبين دعوة الزعماء والقادة القوميين ، والانقلابيين والثوريين ، والنفعيين والماديين ، وكل من كان مصدر تفكيره غير مصدر تعاليم الأنبياء وسيرهم ، لسبب من الأسباب الأصيلة أو الطارئة من التعليم والتربية ، أو رد من ردود الفعل ، أو الحب الزائد لتحقق النتيجة المطلوبة ، أو قلب نظام أو انتصار أو انتقام .

وقد سرت هذه النفسية في كثير من العاملين في مجال العمل الإسلامي ، والمتذمرين من الأوضاع الفاسدة في هذا العصر ، فيغتفرون لكل من يهتف بهتاف الثورة ، أو يتحدى قوة جبارة ، كل فساد في العقيدة ، وانحراف وزيغ في التفكير ، ويصرفون النظر عن ديانته وسلامة عقيدته ، بل يتهمون كل من يثير هذا الموضوع ، ويتساءل عن عقيدته ، بالتمالؤ مع القوى الأجنبية" .

سماحة العلامة الشيخ

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

موقف المسلم

من عقيدة التوحيد !

الإجراءات التي قام بها "الطالبان" في أفغانستان ، نحو تحطيم الأصنام والأوثان ، شغلت الرأي العالمي العام ، وأصبحت حديث الخاص والعام في المجالس الدولية ، والمحافل الدينية ، وصدرت الفتاوى حول هذه العملية ، فمن الناس من وافقوا عليها ، وصوبوا الخطوة التي قام بها "الطالبان" ، ولكن هناك ضجة استنكار شديد أقامت العالم كله وأقعده ، حتى إن الأمين العام للأمم المتحدة وصل إلى أفغانستان على جناح العجلة ، ودعا المسئولين عن الحكم الأفغاني إلى بدء مفاوضات في القضية ، وحاول إقناع كبار الحكام بالتوقف عن قرارهم في إزالة تمثال عظيم لبوذا في مدينة "باميان" ذلك الذي يحمل قدسية لدى أتباع "بوذا" في العالم ، وكانت له مكانة تاريخية من قديم ، ولكن فشلت المفاوضات ، ورفض الجانب الأفغاني إلغاء القرار ، والتوقف عن هدمه على أساس أنه - قبل كل شئ - صنم يُعبد ، ويُقدس ، والإسلام ليس فيه مندوحة عن عبادة غير الله ، مهما كان ذلك الغير صنماً أو وثناً أو إنساناً أو قبراً ، يحمل صفات الطهر والعظمة والقوة والحكم .

أنتج إصرار "الطالبان" على تنفيد قرارهم غضبة عالمية ، وقد ثارت طوائف البوذيين عليهم ، وهددت معسكرات عالمية بالانتقام منهم بإيقاف المساعدات الدولية ، ومواجهة الحكم الأفغاني بالمقاطعة الاقتصادية ، إلا أن "الطالبان" لم يلن موقفهم نحو القضية ، ولم يحيدوا عن قرارهم مثقال ذرة ، وأكملوا ما أزمعوا عليه من تحطيم هذا التمثال ، وإزالة هذه المعلمة

الشركية التي كانت مدعاة إلى الشرك والوثنية ، ومشجعاً على عبادة غير الله تعالى ، وداعياً إلى حضارة الأوثان والأصنام في مستقبل الأيام ، ولو على مستوى محدود .

إن هذه المهمة التي قادها "الطالبان" في عصر طغيان المادية ، وانتشار الصنميّات والشركيات في الحياة والمجتمع ، وفي أيام السيطرة المادية التي تحاول أن تصبغ كل شئ بصبغة غير الله ، وتخمد جذوة التوحيد في قلوب المسلمين ، خير دليل على ما للشريعة الإسلامية من هيبة في نفوسهم ، وما لعقيدة التوحيد من عظمة و أهمية كبيرتين في قلوبهم ، و على ما هم يعملون لتحقيق غرض عظيم ، وما يمهدونه لتأسيس دولة إسلامية ، تقوم على أساس عقيدة التوحيد ، والإيمان بالله والرسول الحبيب ﷺ ، وبالتالي تكون الشريعة الإسلامية دستورها الدائم ، ولعلهم بذلك يحققون ذلك الحلم اللذيذ الذي رأه الإمام الراحل أحمد ابن عرفان الشهيد ، الذي أسس الدولة الإسلامية في نفس هذه البلاد ، ونفذ فيها الشريعة الإسلامية ، ولكنها ذهبت ضحية الغدر والخيانة ، فكانت مأساة تاريخية لا تكاد تنساها الأمة الأفغانية بوجه خاص ، وهي مسئولة عن استدراكها ، وإعادة ذلك التاريخ المشرق الجميل ، يوم ضحى الإمام الشهيد وجماعته المؤمنة بالنفوس والنفائس في سبيل إعلاء كلمة الله ، وخذلان الشرك والكفر ، ومحاربة البدع والخرافات ، والعادات الجاهلية .

يقول العلامة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في تقديمه لكتاب : "إذا هبت ريح الإيمان" ، وهو يتحدث عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وجماعة المجاهدين معه :

"أسس هؤلاء المجاهدون دولة شرعية في الحدود الهندية الشمالية الغربية تشتمل على "بيشاور" ، وما جاورها من البلدان والقرى ، ونفذوا الحدود الشرعية ، وطبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقاً دقيقاً ، ولكن ثارت عليهم القبائل التي تقطن الحدود لمصادمة هذا النظام لمآربهم

الشخصية ، وعاداتهم الجاهلية ، فقلبوا هذا النظام ، ثم اصطدم المجاهدون بجيش "السيخ" في وادي "بالاكوت" ، فاستشهد الإمام أحمد وصاحبه الشيخ إسماعيل ، و كبار أصحابهما في ٢٤/من ذي القعدة عام ١٢٤٦هـ (٦/من مايو ١٨٣١م)" .

ومن يدري إذا كان الله سبحانه قد أراد تجديد هذا الدين ، وتنفيذ الشريعة على أيدي أحفاد هذه القبائل الأفغانية ، تلافياً لما فاتهم ذلك الخير الكبير الذي أتاهم عفواً ، ومن غير مشقة ، فإن الغيرة الإيمانية التي ظهرت من صفوف هؤلآء الحكام الأفغان في قضية كسر الأصنام ، وإن الصمود العقدي الذي تجلى من خلال موقفهم المتصلب تجاه المفاوضات الاسترضائية ، لموشران قويان على ما يتمتع به الطالبان من إيمان راسخ ، وعقيدة خالصة عن جميع الشوائب المادية ، بعيدة عن كل مصلحة دينية ودنيوية ، وذلك هو شأن المؤمن الموحد الذي نضج فكره الديني ، وكمل عقله الإيماني ، ولم يقف في طريقه شئ من المصالح والمطامع ، ولم يرض بأي مساومة في هذا الشأن ، ولم يقبل في ذلك أي ضغط ، مهما كان مصدره ، وكلما حزبه أمر من هذا الشأن ، وتعرضت له مشكلة من هذا النوع تذكّر أن الله تعالى قد أمر نبيه محمداً ﷺ بأن يعلن ، ويصرح بأنه لا يعبد إلا الله ، ويؤكد عبادة الله تعالى في جميع الأحوال والظروف ، وذلك بالرغم مما هو معلوم أن ظروف الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة في فجر التاريخ الإسلامي كانت صعبة قاسية ، وكانت حكمة الدعوة تقتضي - في ظاهر الأمر- أن لا تكون هناك مجاهرة أو إعلان ، ولكن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يؤكد عبادة الله تعالى ، ويرفض عبادة غير الله ، ويعلن عن ذلك ، فأمر نبيه ﷺ بأن يخاطب الكافرين ، ويقول لهم : ﴿ لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين ﴾ .

و حسبنا في ذلك موقف رسول الله ﷺ من طلب وفد بني ثقيف بعد

فتح الطائف أن يَدَع لهم صنمهم الأكبر القديم "اللات" التي ورثوها كابراً عن كابر، إلى مدة ، ريثما يخرج حبها من قلوبهم ، ولكن رسول الله ﷺ لم يستجب لهذا الطلب ، وأمر بهدمها وتحريقها بغير تريث أو مهلة .

يقول سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتابه القيم : "العقيدة والسلوك" :

"ولم يكن موقف الرسول الأعظم ﷺ فيما يتصل بالتوحيد وما يعارضه ، وفي العقائد الأساسية ، وحتى في أركان الإسلام ، موقفاً سلمياً سياسياً مرناً ، كما عهد من الزعماء والقادة السياسيين الذين يسمون أنفسهم : "واقعيين" و "عمليين" .

وقد قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ - بعد فتح الطائف - وقد أسلموا وسألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم "اللات" لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ، وما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم رسول الله ﷺ ، حتى سألوا شهراً واحداً بعد قدومهم ، فأبى عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة - وهو من قومهم - يهدمانها ، وسألوه أن يعفيهم عن الصلاة ، فقال : "لا خير في دين لا صلاة فيه" .

ولما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث معهم أبا سفيان بن حرب ، و المغيرة بن شعبة ، فهدمها المغيرة ، وانتشر الإسلام في ثقيف ، حتى أسلم أهل الطائف عن آخرهم" . [زاد المعاد : ج/١ ، ص/٤٥٨-٤٥٩ ملخصاً]

فليس هناك أيّ مبرر لوجود ما يمهد الطريق إلى عبادة غير الله تعالى في أرضه ، أو الحدب على مصالح لا يرضاها العقل الإيماني في حال ما ، فإن الله تعالى لا يسمح لعبادة بأن يدعوا ما يؤدي إلى الشرك ، جلياً كان أو خفياً ، وقد بين ذلك في كتابه بغاية من الصراحة والبيان ، فقال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به * ويغفر ما دون ذلك لمَن يشاء ﴾ . [وصدق الله العلي العظيم]

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

١٤٢١/١٢/١٨هـ

التوجيه الإسلامي :

الأحرف السبعة للقرآن الكريم

(دراسة عميقة متزنة)

(٦)

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

ترجمة : الأستاذ محمد أسجد الندوي

★ الأسئلة الواردة على هذا القول ودفعها :

فنظراً إلى إيضاح القضية بكاملها وترسيخ أثرتها في القلوب يلزم لنا أن نردّ على تلك الأسئلة التي يمكن أن ترد على هذا القول ، لكي لا يبقى أيّ غموض وتعقد في القضية ، فنذكر بعضاً منها :

١- أول ما يرد عليه هو أننا لما اعترفنا بأن سيدنا عثمان ، لم يقم قطّ بإلغاء الأحرف الستة ، بل جمع مصحفه على جميع الأحرف السبعة ، فلماذا يوصف بلقب "جامع القرآن" ؟ وأي مفخرة ومأثرة يمتاز بها في شأن جمع القرآن الكريم ؟

والجواب لهذا السؤال هو أن عدداً هائلاً من أصحاب الرسول الأعظم ﷺ ، وإن كان حافظاً للقرآن الكريم بكامله ، ولكن النسخة القرآنية التي قام بترتيبها سيدنا أبو بكر الصديق كانت نسخةً مثاليةً معتمدةً إلى عصر سيدنا عثمان ﷺ لدى الجميع ، ولم تكن مصحفاً بل كان جميع السور القرآنية موزّعاً في الصحف المستقلة ، مع أن بعض أصحاب الرسول الكريم ﷺ كان أعدّ مصاحفه فردياً ، فما كان خطها واحداً ، ولا ترتيب السور فيها سوياً ، وما كانت جامعةً للأحرف السبعة ، بل كان قد كتب كل منهم القرآن حسبما علمه الرسول الكريم ﷺ ، وتعلم منه على

الاختلاف في الأحرف - ولذا كانت الآية القرآنية في بعض تلك المصاحف مكتوبة وفق حرف ، وكانت مكتوبة في الأخرى وفق حرف آخر - .

ولكن هذا الاختلاف لم يحدث أي خلل وفساد وجدال في العصور المباركة الأولى التي كان المسلمون فيها موطّدي الصلات بمركز الإسلام "المدينة المنورة" ، وكانوا حديثي العهد بعصر الرسول الذهبي السعيد ، لأن صيانة القرآن الكريم آنذاك كانت تعول على الذاكرة لا المصاحف ، وأكثر الصحابة كانوا على معرفة تامة بنزول القرآن الكريم على الأحرف السبعة ، ولكن لما انبث الإسلام ، وانتشرت أشعتها المضيئة إلى البلاد النائية ، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فتعلموا القرآن وفق الحرف الواحد ، ولم يقف عامتهم على نزول القرآن بالأحرف السبعة ، ولذا بدأ الخلاف يحدث فيهم ، فأحق بعضهم قراءتهم ، وأبطلوا قراءة الآخرين ، واشتدت سلسلة الإبطال والإحقاق ، وفي جانب آخر : فالمصاحف التي أعدها بعض الأصحاب فردياً كانت مختلفة فيما بينها حرفاً وخطّاً ، ولم يهتم الأصحاب في إعدادها بتوحيد الأحرف السبعة وجمعها ، ولذا لم تكن نسخة قرآنية مثالية معتمدة يرجع إليها الناس ، ويرفعوا خلافاتهم ونزاعاتهم ، وكانوا بأمسّ حاجة إلى ذلك .

ففي هذا الوضع رأى سيدنا عثمان بنور إيمانه وتقواه ، بأن هذا الوضع إن بقي واستمر ولم تجتمع الجهود للقضاء على المصاحف الفردية ، ونشر المصاحف المثالية الموثوق بها في كافة أنحاء العالم الإسلامي الواسع لانفتح باب الفتنة الخطيرة الهائلة على مصراعيه ، ولذا أدّى دوراً هاماً بارزاً ملموساً في دفع هذه الفتنة التي كادت تشمل العالم الإسلامي كله ، و وقع الناس في عدة مخاطر ومخاويف ، فأعدّ سيدنا عثمان سبع نسخ للقرآن الكريم الموثوق بها ، و أرسلها إلى عدة أنحاء و ولايات العالم الإسلامي ، واستكتب المصاحف على خطّ جامع للأحرف السبعة ، فلم

تكن فيها النقط والحركات الإعرابية ، ولكي تتيسر قراءتها وفق جميع الأحرف السبعة ، حرق جميع المصاحف الفردية التي أعدها وجمعها الناس ، وفرض الحظر على إعداد أي مصحف فردي مخالف للمصاحف التي أعدها ، بل أمر الجميع بإعداد المصاحف التي توافق وتجمع الأحرف السبعة كلها ، وكانت صحف سيدنا أبي بكر الصديق موزّعة في السور المستقلة ، ولكن سيدنا عثمان رتّب هذه السور القرآنية ، وجعلها مصحفاً واحداً جامعاً شاملاً .

فبهذه الخطوة الحكيمة العظيمة ، وحّد سيدنا عثمان ﷺ العالم الإسلامي بأسره ، فجعل جميع المصاحف مصحفاً واحداً من حيث الخطّ ، وترتيب السور القرآنية ، وجمع فيها الأحرف السبعة كلها ، لكي لا يتيسر المجال لأحد أن يأبى القراءة الصحيحة أو يلحّ على القراءة الخاطئة ، فإذا حدث أي خلاف في القراءات فليُرْجَع إلى المصحف ؛ فيرتفع الخلاف ، ولم يبق أي شكّ واشتباه قطّ .

وما يزيد الأمر بياناً واتّضاحاً ، هو قول سيدنا عليّ المرتضى - كرّم الله وجهه - ، فقد ذكره الإمام ابن أبي داؤد في كتاب المصاحف بإسناد صحيح ، قال عليّ ﷺ : لا تقولوا في عثمان ﷺ إلا خيراً ؛ فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا ، قال : ما تقولون في هذه القراءة ، فقد بلغني أن بعضهم ، يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت (١) .

هذا الحديث أصرح بالنسبة إلى الروايات الأخرى ، فإنه يدل دلالة بينة على أن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ صمم العزم ، وأبداه بإعداد

(١) كتاب المصاحف : ص/٢٢ ، وفتح الباري : ج/٩ ، ص/١٥ .

مصحف سويّ واحد لجميع العالم الإسلامي ، لكي تندفع الخلافات كلها ، ولم يتسع لأحد مجال الإباء للقراءات الصحيحة وإنكارها ، والإلحاح على القراءات المنسوخة والشاذّة (١) ، ونقل ابن أشته أيضاً عن أنس ﷺ : اختلفوا في القرآن على عهد عثمان ﷺ ، حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ﷺ ، فقال : عندي تكذبون وتلحنون فيه ، فمن نأى عني كان أشد تكذيباً ، وأكثر لحناً ، يا أصحاب محمد ﷺ ! اجتمعوا ؛ فاكتبوا للناس إماماً .

فهذا أيضاً يوحي إلى أن لم يخطر ببال سيدنا عثمان قطّ أن يُنهي ويُلغى أي حرف من أحرف القرآن ، بل إنه كان بتأسف ويضطرب كثيراً بما يقوم به بعض الناس من إنكار الأحرف الصحيحة ، والإلحاح على تلاوة القرآن بطرق فاسدة ، ولذا كان يصمم العزم على إعداد مصحف قرآني جامع للجميع سويّ للعالم الإسلامي كله (٢) .

★ معنى كتابة القرآن على لغة قريش :

٢- والأمر الثاني الذي يتوجه إلى هذا القول ، هو أن سيدنا عثمان ﷺ لما ألف طائفة من أجلة أصحاب الرسول الكريم ﷺ تحت إشراف سيدنا زيد بن ثابت ﷺ لترتيب المصحف القرآني ، قال لهم : إذا اختلفتم أنتم ، وزيد بن ثابت ﷺ في شئ من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم (٣) ، فإن اعترفنا بأن عثمان ﷺ لم يلغ ولم يترك أي حرف ، بل

(١) تفاصيله في "الإتقان" : ج/١ ، ص/٦١ .
(٢) شرح كثير من العلماء عمل سيدنا عثمان بكذا ، فانظروا إلى "الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : ج/٧ ، ص/٧٧ ، و البيان في علوم القرآن -للشيخ عبد الحق الحقاني ، الباب الثاني ، الفصل الثاني : ص/٦٢ ، و مناهل العرفان" -للزرقاني : ج/١ ، ص/٢٤٨ إلى/٢٥٦ .
(٣) صحيح البخاري : باب جمع القرآن مع فتح الباري : ١٦/٩.

أبقى وجمع جميع الأحرف السبعة ، فما يعنيه قوله هذا ؟ لأنه يأمر بالكتابة حين الاختلاف بلغة قريش ، فإن القرآن نزل وفقها عنده .

والجواب لهذا السؤال هو أن هذه الفقرة لسيدنا عثمان ﷺ ، قد تسببت إلى ما رآه الحافظ ابن جرير الطبري ، وبعض العلماء الأُخر بأن سيدنا عثمان كان أنهى الأحرف الستة ، وجمع القرآن على حرف قريش فقط ، ولكن الدراسة العميقة لقول عثمان ﷺ تستغلط بما رآه الطبري من إلغاء الأحرف الستة ، بل يتضح بالدراسة لجميع الروايات أن سيدنا عثمان كان يريد بقوله الأخذ بخطّ قريش حينما وقع الخلاف في طرق الخط خلال كتابة القرآن الكريم ، والدليل عليه أن الصفوة المختارة من أصحاب الرسول الكريم ﷺ ، لما بدئت أعمال كتابة القرآن الكريم طبقاً لما أمر به سيدنا عثمان ﷺ ، فلم يحدث بينهم في القرآن الكريم بأسره إلا خلاف واحد ، ذكره الإمام الزهري : "فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه ، فقال النفر القرشيون التابوت ، وقال زيد بن ثابت : التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان ﷺ ، فقال : اكتبوه التابوت ، فإنه بلسان قريش نزل" (١) ، فاتضح صريحاً بأن الخلاف ، الذي ذكره عثمان ﷺ بين زيد ﷺ ، والأصحاب القرشيين ، إنما كان خلافاً في الخط ، لا في اللغات ، فلا يصح احتجاج الطبري به على ما رآه .

★ قضية تلاوة القرآن بالكلمات المرادفة :

٣- والشبهة الثالثة التي يتعرض لها هذا القول ، هي أن المصحف العثماني لم يجمع الأحرف السبعة وفق ما شرحها أبو بكر ﷺ ، لأنه قال : إن جبرئيل قال : يا محمد ﷺ ! اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : كل شاف كاف ما لم تختم آية عذاب

(١) كنزل العمال : ج/١ ، ص/٢٨٢ ، رقم الحديث/٤٧٨٣ ، وفتح الباري : ١٦/٩ .

برحمة أو رحمة بعذاب ، نحو قولك : تعال وأقبل وهلّم واذهب وأسرع وعجّل (١) ، فهذا الحديث يدل على أن اختلاف الأحرف السبعة ، إنما كان اختلافاً للألفاظ المرادفة بأن كان اختير لفظ في حرف ، ومرادفه في الحرف الآخر ، مع أنه لا يوجد بين القراءات الموجودة في المصاحف العثمانية هذا الخلاف للمرادفات إلا قليلاً أقلّ ، وجلّ ما نجد من الخلاف فيها مقتصر بين خلافات الحركات الإعرابية ، والصيغ ، واللهجات ، والتذكير ، والتأنيث .

والجواب على هذه الشبهة هو أننا ذكرنا سبعة أنواع من الخلافات في القراءات ، وفق ما آثرنا من التفسير في الأحرف السبعة ، وأحد هذه الأنواع السبعة اختلاف البدلية المرادفة ، فسيدنا أبو بكر ﷺ لم يفسر الأحرف السبعة جمعاء ههنا ، بل قد ضرب لها مثلاً فقط ، ولذا ذكر نوعاً واحداً من الخلاف ، وهو الخلاف في الكلمات البدلية المرادفة .

وكان هذا النوع من الخلاف أعم وأروج في بدء الإسلام ، فإن العرب كلهم كانوا غير متعودين للغة قريش ، ولذا راعى الله بالتيسير عليهم ، فسمح لهم بتلاوة القرآن الكريم في الألفاظ المرادفة المماثلة البديلة لما سمعوا عن الرسول الكريم ﷺ .

فطالما نرى أن القراءة الواحدة تحتوي حرفاً ، والأخرى حرفاً آخر مرادفاً للأول في بدء الإسلام ، ولكن لما ألف العرب لغة القرآن الأصيلة بدأ ينتقص هذا النوع وينقرض شيئاً فشيئاً ، حتى وقعت العرضة الأخيرة التي عرض فيها جبريل القرآن على الرسول الكريم ﷺ مرتين نُسخت وأُلغيت بذلك كلمات كثيرة ، فلم يبق الخلاف في الكلمات المرادفة

(١) ورد الحديث في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح (أوجز المسالك شرح الموطأ للإمام مالك : ج/٢ ، ص/٣٥٧) .

إلا قليلاً أقلّ .

ولم يجمع سيدنا عثمان ﷺ هذه الكلمات المرادفة المنسوخة حين العرضة الأخيرة في مصاحفه لأنها كانت بمنزلة الآيات التي قد نُسخت تلاوتها ، أما الخلاف للقراءات ، فكان استبقاه الله في العرضة الأخيرة أيضاً، ولذا لم يقم سيدنا عثمان ﷺ بأدنى ترميم فيها ، بل أبقاها وجمعها كما كانت ، فما ذكره سيدنا أبو بكر ﷺ من أحد أنواع الخلاف في الحروف في الحديث المذكور أعلاه على سبيل المثال ، إنما هو النوع الذي كان أكثره ملغىً ومنسوخاً حين العرضة الأخيرة ، فلم ينضم في المصاحف العثمانية ، ولم يوجد في القراءات الموجودة الحاضرة قطّ .

★ وتترتب هذه النتائج على ثلاث مقدمات أساسية :

١- كان عديد من القراءات القرآنية منسوخاً وملغىً في العرضة الأخيرة .

٢- قد قام سيدنا عثمان ﷺ بترتيب مصاحفه وفق العرضة الأخيرة

٣- لا يوجد في المصاحف العثمانية خلاف الكلمات المرادفة الذي ذكره أبو بكر ﷺ ، وهذا مما لا شك فيه ، وقد سقنا الدلائل على أن سيدنا عثمان جمع ورتّب مصاحفه وفق العرضة الأخيرة ، كما ذكرنا قول عبيدة السلماني : "قراءتنا التي جمع الناس عثمان عليها هي العرضة الأخيرة" (١).

أما القضية الأولى حول نسخ عديد من القراءات عند العرضة الأخيرة ، فالدليل على صحتها ما احتجّ به ابن الجزري رحمه الله : "ولا شك أن القرآن نسخ منه وغيّر فيه في العرضة الأخيرة ، فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة ، وروينا بإسناد صحيح عن زرّ بن حبيش ، قال : قال لي ابن عباس ﷺ : أيّ القراءتين تقرأ ؟ قلت : الأخيرة ، قال : فإن

(١) كنز العمال : ج/١ ، ص/٢٨٦ ، رقم الحديث/٤٨٤٠ .

النبي الكريم ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل عليه السلام في كل عام مرة ، فعرض عليه القرآن في العام ، الذي قبض فيه النبي الكريم ﷺ مرتين ، فشهد عبد الله يعني ابن مسعود ما نسخ منه وما بدّل (١) ، فبدا منه صريحاً أن عديداً من القراءات كان نُسخ في العرضة الأخيرة ، وأكثر أجزاء الخلاف في الألفاظ المرادفة ، قد نُسخت أيضاً حين العرضة الأخيرة ، فإن سيدنا عثمان أعدّ ورتّب مصاحفه وفق العرضة الأخيرة ، فليس فيها اختلاف الكلمات المرادفة إلا قليلاً نادراً .

★ مصحف سيدنا عبد الله بن مسعود :

٤- والشبهة الرابعة التي ترد على هذا القول هي أن سيدنا عبد الله بن مسعود لم يكن فرحاً راضياً مؤيداً لما قام به سيدنا عثمان من جمع القرآن الكريم وترتيبه ، فإن ابن مسعود لم يمكّن أحداً على إحراق مصحفه الخاص ، فإن لم يُنه سيدنا عثمان ، ولم يلغ الأحرف الستة ، فما السبب لما قام به ابن مسعود ﷺ من عدم الرضى على جمع المصحف ، وإحراق الأخرى ؟

والجواب لها : هو أن هناك أمرين أبدى ابن مسعود ﷺ الاختلاف فيهما ، الأول : لماذا لم يُشركه في أعمال كتابة القرآن الكريم وجمعه ؟ والثاني : لماذا أحرق عثمان ﷺ سائر المصاحف الأخرى ؟

وذكر الإمام الزهري الأمر الأول في رواية لجامع الترمذي : وهي تدل على أن عبد الله بن مسعود قدّم شكواه بعدم الإشراك في أعمال كتابة القرآن الكريم مع أنه كان أكثر اتصالاً واكتساباً من رسول الله ﷺ بالنسبة

(١) النشر في القراءات العشر : ج/١ ، ص/٣٢ ، ونقل الحافظ ابن حجر عديداً من الروايات الدالة على هذا المعنى عن كثير من المحدثين الكرام (انظروا : فتح الباري : ج/٩ ، ص/٣٦) .

إلى زيد بن ثابت ﷺ ، كما صرح به : يا معشر المسلمين ! اعزل عن نسخ كتابة المصاحف ، ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت ، وإنه لفي صلب رجل كافر ، وكما قال : أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان ، وكتب الحافظ ابن حجر مدافعاً عن عثمان ﷺ : والعذر لعثمان ﷺ في ذلك أنه فعله بالمدينة ، وعبد الله بالكوفة ، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر ، وأيضاً فإن عثمان ﷺ إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر ، وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر ، هو زيد بن ثابت ﷺ ، كما تقدم ، لكونه كاتب الوحي ، فكانت له الأولية ليست لغيره (١) .

والأمر الثاني : هو أن عبد الله بن مسعود كان مخالفاً لما قام به سيدنا عثمان بعد إعداد وترتيب المصاحف الجديدة من إحراق المصاحف الفردية بأجمعها ، فلم يرض ابن مسعود بإحراق مصحفه الخاص ، ولما كلمه أبو موسى الأشعري ، وحذيفة بن اليمان في هذا الأمر ، أجاب صريحاً : والله لا أدفعه إليهم ، أقرأني رسول الله ﷺ بعضعاً وسبعين سورة ، ثم أدفعه إليهم ، والله لا أدفعه إليهم (٢) ، ولم يكتف بذلك بل حرّض جميع من كتب المصاحف وفق مصحفه في الكوفة بأن لا يمكنوا أحداً على إحراق مصاحفهم ، كما ذكر خُمَيْر بن مالك : أمر بالمصاحف أن تغير ، قال قال ابن مسعود ﷺ : من استطاع منكم أن يغلّ مصحفه فليغلّه .. ثم قال : قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة ، أفأترك ما أخذت من في رسول

(١) فتح الباري : ج/٩ ، ص/١٩ .

(٢) مستدرك الحاكم : ج/٢ ، ص/٢٢٨ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي .

الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم (١) ، فهذا يوحي إلى أن مصحف ابن مسعود ﷺ كان مختلفاً من المصاحف العثمانية ، وكان ابن مسعود يريد ويحاول لصيانته وسلامته عن الإحراق والضياع ، أما المواد المختلف فيها ، فليس لدينا أيّ تصريح بها في الروايات الصحيحة ، وما ينكشف من الفرق ظاهراً هو في ترتيب سور القرآن الكريم فيه ، وكما ذكرنا سابقاً أن الصحف التي جمع أبو بكر ﷺ القرآن فيها كانت السور مكتوبة مستقلة ، غير مرتبة فيها ، ولكن المصحف الذي استكتبه عثمان ﷺ جمع فيه السور بترتيب خاص ، كما حرره الإمام حاكم : إن جمع القرآن الكريم لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله ﷺ ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث : هو في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم (٢) .

وكان بين مصحفي ابن مسعود وعثمان خلاف شديد في ترتيب السور ، فكانت سورة النساء متقدمة على سورة آل عمران في مصحف ابن مسعود (٣) ، لعل ابن مسعود تعلم القرآن من الرسول الكريم ﷺ بهذا الترتيب الذي يوجد في مصحفه ، ولذا كان متشوقاً وحريصاً على بقاء المصحف بهذا الترتيب ، ويتأكد هذا الأمر بحديث رواه البخاري بأن عراقياً جاء إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، و قال : يا أم المؤمنين ! أريني مصحفك ، قالت : لِمَ ؟ قال :-لعلي أؤلّف القرآن عليه ، فإنه يُقرء غير

(١) الفتح الرباني (بتبويب مسند الإمام أحمد) : ج/١٨ ، ص/٣٥ .

(٢) المستدرك للحاكم : ج/٢ ، ص/٢٢٩ .

(٣) وذكر السيوطي الترتيب الكامل للسور القرآنية في مصحف ابن مسعود عن ابن اشته ، وهو يختلف كثيراً عن المصحف العثماني (الإتقان : ج/١ ، ص/٦٦) .

مؤلف ، قالت وما يضرك أية قراءت قبلك (١) .

فكتب الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث : والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان ممن يأخذ بقراءة ابن مسعود ﷺ ، وكان ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان ﷺ إلى الكوفة ، لم يوافق على الرجوع عن قراءته ، ولا على إعدام مصحفه ، فكان تأليف مصحفه مغايراً لمصحف عثمان ، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره ، فلهذا أطلق العراقي أنه غير مؤلف (٢) .

فهذا الحديث يوضح بأن الفارق المبدئي الأساسي بين مصحفي ابن مسعود ﷺ وعثمان ﷺ يتعلق بترتيب السور القرآنية ، ويمكن أن يكون الفرق في الخط أيضاً بحيث أن يكون مصحف ابن مسعود ﷺ على خطَ لا يتَسع لجميع القراءات مثل المصاحف العثمانية ، وإلا فإن قلنا بأن سيدنا عثمان أنهى وأبطل الأحرف الستة ، ولم يجمع القرآن ولم يستكبته إلا على حرف قريش فقط ، كما هو رأى الحافظ الطبري ، وأن مصحف عبد الله بن مسعود كان مكتوباً على واحد من تلك الأحرف المتروكة الملغاة ، فهذا القول يؤدي إلى عديد من الإشكالات والشبه نذكر بعضاً منها .

١- فطبقاً للحديث الذي نقلنا عن البخاري أعلاه ، قد ذكر العراقي اختلاف ترتيب السور القرآنية فقط ، ولم يذكر اختلاف الأحرف ، فإن كان خلاف الحروف موجوداً أيضاً لكان أهم وأليق وأصلح للذكر بالطريق الأولى .

٢- الأحرف السبعة تعنى اللغات السبعة للقبائل المختلفة ، وفق ما رآه الطبري رحمه الله ، إن كان هذا الرأى سديداً صائباً لما وقع أي خلاف

(١) باب تأليف القرآن صحيح البخاري .

(٢) فتح الباري : ج/٩ ، ص/٤٠ .

وفارق في مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ ، والمصاحف العثمانية قطَ ، فإن هذا الرأى يوحى إلى أن سيدنا عثمان ﷺ استكتب المصاحف وجمعها على حرف قريش فقط بعد التشاور مع الصحابة ، وكان عبد الله بن مسعود أيضاً قرشياً .

٣- وأقوى ما احتج به الطبري وأتباعه على إنهاء الأحرف الستة ، هو إجماع أصحاب الرسول الكريم ﷺ واتفاقهم عليه ، ولكننا إذا اعترفنا بأن ابن مسعود ﷺ كان يقرأ القرآن ويكتبه على حرف آخر غير الحرف الذي جمع عليه عثمان مصاحفه ، فكيف يتحقق الإجماع الذي هو أكبر حجة للطبري ومن تبعه .

فالإجماع الذي لا يوافق عليه الصحابي الجليل أفقه الأمة عبد الله بن مسعود ﷺ ، كيف يليق أن يصدق عليه معنى الإجماع ؟ ومما يزيد الطين بلة هو أن بعض الأصحاب زعموا أن ابن مسعود ﷺ رجع أخيراً إلى رأى عثمان ، وخضع له وقبله ، ولكن ليس هناك أي رواية صحيحة تصرح بذلك ، وكتب الحافظ ابن حجر : على أن ابن أبي داؤد ترجم ، باب رضى ابن مسعود بعد ذلك بما صنع عثمان ، لكن لم يورد ما يصرح بمطابقة ما ترجم به (١) .

فهذه هي الشبهات والاعتراضات ، ولا تندفع حينما أخذنا بأقوال ابن جرير الطبري وغيره ، ولذا لابد لنا أن نعترف بأن سيدنا عثمان جمع مصاحفه على جميع الأحرف السبعة ، ولم يترك شيئاً منها ، وأما ابن مسعود فلم يبد غضبه على إنهاء الأحرف الستة (٢) ، فإنه لم يحدث أصلاً ، بل أبدى غضبه واعتراضه على إضاعة وإحراق المصاحف المكتوبة الموجودة الصحيحة ، نظراً إلى مخالفتها للمصاحف العثمانية خطاً وترتيباً ، فإنه كان يرى في إبقائها خيراً - ومصلحةً - والله أعلم بالصواب .

[للحديث صلة]

(١) فتح الباري : ج/٩ ، ص/٤٩

(٢) وهناك رواية واحدة فقط في مسند الإمام أحمد تشير بظاهر كلماتها إلى أن سيدنا عثمان قام بإنهاء الأحرف الستة ، وعلى هذا أبدى ابن مسعود اعتراضه وغضبه (الفتح الرباني : ج/١٨ ، ص/٣٦) ، ولكنها مروية عن راوٍ مجهول غير موثوق به .

ادّعاءات النبوّة بعد ختم النبوّة

بقلم : د/محمد السيد علي بلاسي
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
وعضو اتحاد كتاب مصر ، والخبير الدولي لمنظمة الإيسيسكو (جمهورية مصر العربية)

[٢/الأخيرة]

☆ القاديانية .. عميلة الاستعمار الإنجليزي :

اجتمع قواد الاستعمار البريطاني وزعماؤه في لندن ، وخططوا خطة ضد الإسلام من أخطر خططهم بعد تفكير عميق وبحث دقيق ، لأنه لا توجد في قارات العالم قوة تجابههم غير الإسلام ، ولذا لابد لدعم القوة الاستعمارية ، أن تشتت قوى الإسلام ، ولكن لا بمهاجمتها ، بل بإنشاء فرق باطلة منهم ، تكون حاملة اسم الإسلام ، وفي الأصل تكون هادمة لأصوله ومبادئه ، وتمد هذه الفرق بكل الإمكانات من المساعدات المالية وغيرها لتعمل على حسابهم ، وتتجسس على المسلمين ، فنسجت يد الاستعمار على هذا المنوال نسجاً جميلاً محكماً ، وبالفعل أرسلت بعثات خاصة في البلاد المستعمرة للبحث عن الخونة ، لكي تشتري منهم ضمائرهم وإيمانهم ، وأحاسيسهم ومشاعرهم ، ففتشت هذه الفئات الخبيثة عن الخونة ، وأي قوم يخلو عن مثل هؤلاء ، وكان أشدهم خطراً عميل الاستعمار الإنجليزي في الهند ، غلام أحمد القادياني ، حيث عرف بمظهر التجديد مرة ، وبالمهداوية مرة أخرى ، ثم بعد ذلك قفز و وصل إلى النبوة ، وقال : إنه نبي مرسل ينزل عليه الوحي ، ولكنه ليس بني مستقل ، بل نبي متبع كهارون لموسى ، وحرف معاني القرآن ، وأولها بتأويل فاسد ، وروج أفكارا باطلة ، وأدى للاستعمار خدمات جليلة مع بقائه في صفوف المسلمين ، لأنه ما كان يستطيع أن يخدمهم بخروجه عن الإسلام مثلما استطاع ، وهو مظهر

إسلامه ، فكان من أعظم خدماته لهم ، فتواه بأنه لا يجوز لمسلم أن يرفع السلاح في وجه الإنجليز ، لأن الجهاد قد رُفع ، وأن الإنجليز هم خلفاء الله في الأرض ، فلا يجوز الخروج عليهم .

يقول الميرزا غلام أحمد في كتابه : "شهادة القرآن" (ص ١٠) : "لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها ، ولقد ألفت في منع الجهاد و وجوب طاعة أولي الأمر من الإنجليز من الكتب والنشرات ، ولو جمع ما فيها أولو جمع بعضها إلى البعض لملأ خمسين خزانة ، ولقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم" أ.هـ .

لذلك سر منه المستعمرون أيما سرور وقدموا له كل المساعدات من الحماية والمال ، وحتى أعطوه أناساً يتبعونه ويقلدونه ، فكان الرجل الذي ما رأي طوال حياته مائة جنيه يلعب بمئات الألوف يومياً ، والمسكين الذي كان موظفاً بسيطاً لا يأخذ أكثر من خمسة جنيهات في الشهر ، ويتنقل بطلب المعاش من بلد إلى بلد ، ومن قرية إلى قرية ، يبني قصوراً شامخةً ، ويركب عربات فخمة ، ويأخذ خدمه معاشاً أكثر مما كان يأخذ سيدهم ، فهذا كله كان من بركات الاستعمار البريطاني ، كما اعترف في محضره الذي قدمه لملكة بريطانيا حينما زارت الهند .

ويؤكد هذا العرفان بالجميل في كتابه الملفوظات الأحمدية حيث يثني على الحكومة البريطانية قائلا : "لقد بالغت هذه الحكومة في الإحسان إلينا ، ولها عندنا أياد وأي أياد" .

لذا ركز الاستعمار الجهود لتنمية هذه الشجرة وتربيتها ، وعرفوه إلى الناس ، ورفعوا منزلته في كنفهم ، وشجعوه على الهجوم على المسلمين والإسلام ، وعلى أكابرهم ، وأئمتهم ، حتى تناول أعراض الأنبياء عليهم السلام ، وعرض بسيد المرسلين وأصحابه البررة رضوان الله عليهم أجمعين ، فكفره جميع علماء الأمة بوجوب قتله لادعائه النبوة ، ولإهانته

الأنبياء وسبابه للمسلمين ، ولإنكاره أسس الدين الإسلامي الحنيف ، ولكن سيده الاستعمار دافع عنه ، وحفظه من غيظ المسلمين وغضبهم ، فما استطاعوا أن يعملوا ضده أي شئ ، اللهم إلا أن علماء المسلمين ناظروه وناقشوه ، و أظهروا الحق ، و أبطلوا الباطل ، و كان أبرزهم العالم الشيخ ثناء الله الأمرتسري الذي انتصر عليه غير مرة ، وأقام عليه الحجة ، وأخيراً دعاه إلى المباهلة بان الكذاب يموت في حياة الصادق بموت غير عادي ، وظهر الحق ، حيث إنه بعد مدة قليلة من هذه المباهلة ، وفي مايو عام ١٩٠٨م ، مات غلام أحمد القادياني بعد أن أصيب بالكوليرا ، فخلفه الحكيم نور الدين ، ومشى على منوال شيخه ، وموالاته الاستعمار ، وساعدهم سيدهم القديم بالمنشورات وغيرها في أوربا وأفريقيا من بلاد العالم (١) .

و ورد في صحيفة "الفضل" (عدد/١٩١٨/١١/٧م) كلمة لابن الغلام أحمد بشير ، قال فيها : لماذا لا نفرح بدخول الإنجليز الشرق الأوسط ، وقد قال إمامنا الغلام أحمد : بأني أنا المهدي المنتظر ، وحكومة إنجلترا سيفي ، نحن نبتهج بهذا الفتح ، ونريد أن نرى لمعان هذا السيف ، وبريقه في العراق والشام ، وفي كل مكان .

"إن الله أنزل ملائكة لتأييد الحكومة ومساعدتها" (٢) .

★ تعاون القاديانيين مع اليهود :

لقد اختار القاديانيون الأحمديون مركزهم في يافا ليبقوا تحت الحماية الإنجليزية قبل تأسيس إسرائيل ، وما أن قامت دولة إسرائيل حتى منحتهم إنكلترا جوازات سفر بريطانية ، ومنحتهم إسرائيل حرية الدعوة

(١) انظر : "القاديانية دراسات وتحليل" : ص/١٩-٢٢ بتصرف ، وراجع : "المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي" : ص/٣١١ وما بعدها .

(٢) انظر : "المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي" : ص/٣١٦ .

والتبشير بالأحمدية .

ورد في كتاب القاديانية لمحمد خير القادري ما يلي : "يقع مكتب التبشير الأحمدي في جبل الكرمل في حيفا في إسرائيل ، ولنا فيه مسجد ، و دار للنشر، ومكتبة عامة لبيع الكتب ، ومدرسة تصدر عنها مجلة شهرية ، اسمها : (البشرى) التي توزع في البلاد العربية ، وقد قام هذا المكتب بنقل الشئ الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية ، وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا ، وناقش معه عدة مسائل منها إنشاء مدرسة بقرب جبل الكبائر ، و قد شرفنا رئيس البلدية يرافقه أربع شخصيات هامة ، واستقبلهم رجال فرقتنا ، وعقدوا لهم حفلة ترحيبية ، ولما أراد مبشرنا محمد شريف العودة إلى مركز الأحمدية في باكستان أرسل إليه رئيس إسرائيل رسالة طلب فيها أن يزوره قبل سفره إلى باكستان" .

والأحمديون يمارسون حقوقهم ونشاطاتهم في إسرائيل بتشجيع من حكومة العدو (١) .

★ عقائد القاديانيين :

١- ادعاؤه النبوة : ورد في كتاب ميرزا غلام أحمد : "حقيقة الوحي" هامش : ص/٧٢ ، قوله : "أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل" ، وفي ص/١٦٣ ، يقول الغلام : "الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله ورسوله" ، وادعاؤه النبوة يقتضي أن ينكر عقيدة الإسلام في ختم النبوة ، والرسالات ، والكتب السماوية (٢) .

٢- يفسر القاديانيون (وخاتم النبيين) من الآية بمعنى : زينتهم

(١) انظر : المرجع السابق : ص/٣١٦-٣١٧ ، ولمزيد من التفصيل والإيضاح ، راجع : "القاديانية .. دراسات وتحليل" : ص/٤٥ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع : ص/٣١٢ .

وختمهم وطابعهم ؛ ليفتح الغلام بـاب النبوة ، كـي يحشـر نفسـه اسـتجابة لأمر أسياده الإنجليز .

ورد في كتاب : "حقيقة النبوة" لابن غلام بشير ، ص/٢٨٨ ما يلي :

"وما هو واضح كالشمس في رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً بعد النبي الكريم ﷺ" (١) .

٣- تعتقد القاديانية أن المسيح الذي وعد بمجيئه في آخر الزمان ، هو غلام أحمد القادياني ، وأنه أرسل وفق أخبار رسول الله ﷺ ، كقوله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ﷺ أنه قال : "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" . [متفق عليه]

وقوله ﷺ : "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وأنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران (أصفران) كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه البلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ، ويدفنونه" . [أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له وأبو داؤد]

ويروي نواس بن سمعان ﷺ عن رسول الله ﷺ في حديث طويل عن خروج الدجال أنه قال : "إذا بعث الله المسيح بن مريم ، فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين (ردائين أصفرين) واضعاً كفيه على

(١) المرجع السابق : ص/٣١٢ .

أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ ، فلا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه الدجال بباب لد فيقتله ، إلى آخر الحديث" . [أخرجه مسلم وغيره]

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة المروية في هذا الباب .

يفسر المتنبي القادياني هذه الأحاديث على نفسه (١) ، حيث يقول في مجموعة إعلانات الغلام : ج/١٠ ، ص/١٨ ، ما نصه : "أقسم بالله الذي أرسلني والذي لا يفتري عليه إلا الملعونون ، أنه أرسلني ، وجعلني مسيحاً موعوداً" .

كما يقول في كتابه : "تحفة كولرة" : ص/١٩٥ : "دعواي ، إني أنا هو المسيح الموعود الذي أخبر عنه في جميع الكتب السماوية بأنه يظهر في آخر الزمان" .

أقول : ولو نظرنا إلى الأحاديث التي أخبر بها الرسول العظيم ﷺ عن نزول المسيح الموعود عيسى بن مريم ، لما وجدنا هناك ثمة شبه أو مطابق بين ما ورد فيها ، وأوصاف هذا الدجال الأفاك المتنبي غلام أحمد القادياني .

٤- ادعاء المتنبي القادياني أن عيسى بعث من قبره ، وهاجر إلى كشمير ، وتوفي هناك عن عمر يناهز المائة والعشرين عاماً ، وأنه قد حل فيه هو ومحمد على السواء ، فهو بذلك جمع النبوتين ، و أنه أوحي إليه بالإنجليزية ، ورد في كتابه : "براهين أحمدية" : ص/٤٨٠ ، قوله : "أنا ألهمت عدة مرات بالإنجليزية فظننت من اللهجة كأنه إنجليزي قائم على رأسي يتكلم" .

(١) رد على هذه الافتراءات والنزهات الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه القيم : "القاديانية .. دراسات وتحليل" ، فارجع إليه إن شئت مزيداً من التفصيل : ص/١١٩ وما بعدها .

٥- ولابد لمدعي الرسالة من أن يخترع كتاباً لذا ألف كتاباً مقدساً سماه : "الكتاب المبين" ، وادعى أنه أوحي به إليه ، وهو يتضمن مجموعة الإلهامات التي يدعي أنه أوحي إليه بها ، وهو مقسم إلى عشرين جزءاً ، وسمي الإلهام الواحد آية .

قال الخليفة الغلام أحمد في جريدة الفضل في عددها بتاريخ ١٥/يوليو ١٩٢٤م ، ما يلي : "لا قرآن سوى القرآن الذي قدمه المسيح الموعود" وبهذا يصرحون بنسخ القرآن ، وبنبوة الغلام ، وبإنكاره ختام الرسالات والنبوات .

٦- أما تصور الغلام عن الله الذي يوصي إليه : فهو يصوم ويصلي ، وينام ويخطئ ويصيب ؛ قال في كتابه : "البشرى" ٧٩/٢ : "قال لي الله : إني مع الرسول محيط ؛ إني مع الرسول أجيب أخطئ وأصيب" ، وفي ص/٩٧، يقول : "قال لي الله : إني أصوم وأصلي ، وأصحو وأنام" .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه * وأضله الله على علم ﴾ . [الجاثية/٢٣]

ولعل الغلام أراد أن يصف الله بصفات البشر حتى يسهل عليه القفز من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية ، إن وجد من يسلم بنبوته ، وقد كتب فيهم الدكتور محمد إقبال ، فيلسوف الهند في رسالته الشهيرة : "الإسلام والأحمدية" رداً على أباطيلهم .

٧- يرى المتنبي القادياني أن الجهاد في سبيل الله قد نسخ ، وأنه أصبح يرفض استخدام العنف والأدوات ، بل يكون بالوسائل السلمية والإقناع .

ورد في مجموعة إعلانات القاديانية : ٤٩/٤ ما نصه : "اتركوا الآن فكرة الجهاد ؛ لأن القتال للدين قد حرم ، وجاء الإمام والمسيح ، ونزل نور الله من السماء فلا جهاد ، بل الذي يجاهد في سبيل الله ، فهو عدو الله" .

فماذا يريد المستعمرون والإنجليز أكثر من هذه الخدمة .

إنها دعوة صريحة ؛ لتمكين الاستعمار والقبول بحكمه ، لقد أمر أتباعه صراحة بطاعة الإنجليز المستعمرين الذين يحكمون الهند امتثالاً لأمر الله : ﴿ أطيعوا الله * وأطيعوا الرسول * وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء/٥٩] ، فهو يأمرهم بطاعة الإنجليز أولي الأمر عندهم .

يقول العلامة أبو الحسن الندوي في رسالته : "القاديانية" :

"لقد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، فقد أهم بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، سنة/١٨٤٢م ، وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء ، وبث روح النخوة الإسلامية ، والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي ، وكيف التف حوله وحول دعوته آلاف المسلمين ، عانت منهم الحكومة الإنجليزية في الهند مصاعب عظيمة ، واقتنعت أخيراً أنه لا يؤثر في المسلمين ، وفي اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم ، باسم منصب ديني رفيع ، يجمع حوله المسلمين ، ويخدم سياسة الإنجليز ، ويؤمنهم من جهة المسلمين وعائلاتهم ، وقد وجدت الحكومة الإنجليزية ضالتها في ميرزا غلام أحمد القادياني" (١) .

هذا وإزاء هذه المخالفات الصريحة لتعاليم الإسلام ، والتي يعتنقها القاديانيون في الإيمان بمدع للنبوة والوحي ، وفي عدم الإيمان بختم النبوة ، وفي إيمانهم بنسخ القرآن ، وفي إعلان تبعيتهم لأعداء الإسلام المستعمرين ، أجمع علماء المسلمين على اعتبار هذه الطائفة خارجة عن الإسلام ، وكان ذلك حين انعقد في كراتشي مؤتمر عام ١٣٩٣م اشتركت فيه نخبة من العلماء يمثلون كافة الطوائف الإسلامية في باكستان الشرقية والغربية ، وقدموا اقتراحاً إلى المجلس التشريعي يطالبون فيه اعتبار القاديانيين أقلية

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي : ص/٣١٢-٣١٤ بتصرف يسير .

عير مسلمة ،وأن يخصص لهم مقعداً واحداً في مجلس الشعب من مقاطعة البنجاب .

كما اتخذ المؤتمر الإسلامي المنعقد في باكستان قراراً باعتبار القاديانية حركة غير إسلامية ، وكذا أصدر مؤتمر المنظمات الإسلامية في العالم ، والذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٣م ، وحضره مندوبو (١٤٤) جمعية إسلامية تمثل مختلف المواقع الإسلامية في العالم ، وكان القرار الذي اتخذوه بشأن القاديانية في هذا المؤتمر بمثابة إجماع من الأمة الإسلامية على تكفير القاديانيين ، وكان خاتم هذه القرارات مجلس النواب الباكستاني ، حيث أعلن اعتبار القاديانيين غير مسلمين (١) .

☆ خامساً - الباطنية : لقد وضع مذهب الباطنية قوم تطابقوا ، وكان في قلوبهم بغض للإسلام ،والنبي عليه السلام ، من الفلاسفة ، و الملاحدة ، والمجوس ، واليهود ، ليسلخوا الناس عن الإسلام بعد قوته ، وبعثوا الدعاة إلى الآفاق والأطراف ، ليدعوا الناس إلى مذهبهم ، لعل المملكة ترجع إليهم ، ويبطل دين النبي العربي ﷺ ولكن ، يأبي الله إلا أن يتم نوره .

وقيل أصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والعصيان والطغيان ، ظهور"ميمون القداح" في الكوفة سنة ١٧٦هـ ، فنصب الملعون للمسلمين حبائل ، و بغى لهم الغوائل ، و ألبس الحق بالباطل ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ، ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً ، وقال : "إن جميع المفروضات والمسنونات رموز وإشارات ، وأن الظواهر كلها قشور ، وبواطنها هو اللب المقصود ، وكان الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان حريصاً على هدم شريعة الإسلام ؛ لما في اليهود من عداوة للنبي الحبيب ﷺ .

(١) المرجع السابق : ص/٣١٦ ، وانظر : "القاديانية المستترة ، أخطر الحركات الهدامة على عقيدة المسلمين" للشيخ علي عيسى : ص/١٠ ، تجد مزيداً من التفصيل .

ولهذا المذهب المغرض ألقاب عشرة : الإسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والسبعية ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والتعليمية ، والقرمطية ، والخرمدينية .

وكان قصدهم من دعواهم ، سلخ المسلمين عن دينهم الحنيف ، واستدراج عوام المسلمين ، ولم يمكنهم أن يصرحوا بذلك في دار الإسلام ، فوضعوا جيلاً يكون عوناً لهم على إدراك مفاهيمهم ومراميهم ، وهي تسع حيل مرتب بعضها على بعض : الزرق ، والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس ، ثم التأسيس ، ثم الخلع ، ثم المسخ ، وسمو ذلك "البلاغ الأكبر" ، وأكثرها من مقالات الفلاسفة .

★ أما في التوحيد : فهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما ، وهما العقل والنفس ، ويسميان العلة والمعلول ، والسابق والتالي ، واللوح والقلم ، والمفيد و المستفيد ، وقالوا : إن الباري سبحانه ، لا يوصف بموجود ، و لا بمعدوم ، ولا هو مجهول ، ولا موصوف ، ولا غير موصوف ، ولا قادر ، ولا غير قادر ، ولا عالم ، ولا غير عالم ، وهلم جرا ... إلى آخر الصفات ، ويقولون بالطبع ، وتأثير الكواكب ، وغرضهم نفي الصانع سبحانه بوجه يدق على عوام الخلق .

★ وأما في النبوات : فقولهم قريب من قول الفلاسفة ، و ينكرون الوحي ، ومجئ الملائكة ، والمعجزات ، ويقولون : كلها رموز وإشارات وأمثالاً وممثلات لم يعلمها أهل الظاهر ، فمعنى ثعبان موسى : غلبته عليهم ، ومعنى إظلال الغمام : أمره عليهم ، وأنكروا أن يكون عيسى ﷺ من غير أب ، ومعنى لا أب به أنه لم يأخذ العلم من إمام ، وإنما أخذ من نائب إمام ، ويقولون : إن القرآن كلام محمد ﷺ : لقوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ [التكوير/١٩] ، وتأولوا نبع الماء من الأصابع : إشارة إلى تكثير العلم ، وطلوع الشمس من المغرب ، وخروج الإمام ، وكذا تأولوا باقي المعجزات .

وقالوا : إن محمد بن إسماعيل - أحد أئمة الإسماعيلية - نبي ، وأنه ناسخ لشريعة محمد ﷺ بل قالت فرقة منهم ، إن محمد بن إسماعيل هذا حي لم يمت ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً ، وهو المهدي .

ووصل الحال بهذه الفرقة إلى تأليه أئمتهم - والعياذ بالله - وغير ذلك من الأمور التي تدلل على كفرهم البواح بالله ، وخروجهم من زمرة المسلمين ، وإن انتسبوا إلى الإسلام زوراً (١) .

وبعد ؛ فيمضي مسلسل ادعاء النبوة موصولاً ، ففي السودان ادعي محمد محمود طاهر النبوة ، وألف جماعة بإسم "الإخوان الجمهوريين" ، غير أن حاكم القطر - آنذاك - أجهض دعوته ، وأقام عليه حد الردة .

وفي أمريكايدعي المدعو د.رشاد خليفة النبوة ، وساق الله إليه من يقتله ؛ ليريح المسلمين منه ، وادعي كثير غيرهما النبوة ، ولكن : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم * والله متم نوره * ولو كره الكافرون ﴾ [الصف/٨] .

ولا عجب أن يدعي أفراد كهؤلاء النبوة بعد النبي المصطفى ﷺ ، فتلك آية من البينات الشاهدة ، ودلالة من دلائل نبوة خاتم المرسلين محمد ﷺ ، حيث أخبر من الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير .

يقول ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعي النبوة" (٢) [رواه البخاري] .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي لا نبي بعده ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه الفرقة الضالة ، راجع : "البيان مذهب الباطنية وبطلانه" ، منقول من كتاب "قواعد عقائد آل محمد" تأليف محمد حسن الديلمي ، عني بتصحيحه ، رشد وطمان ، الطبعة الثانية - إدارة ترجمان السنة ، لاهور باكستان ١٩٨٢م .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام : ٤٤٣/٤ .

الـرحمة في الإسلام

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لقد كان الدعاء بالرحمة قاسماً مشتركاً بين جميع الأنبياء والرسل ، بل وبين جميع الخلق منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا ، وإلى قيام الساعة دعا بها آدم وحواء : ﴿ قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا * وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف/٢٣] ، ودعا بها سيدنا نوح : ﴿ وإلا تغفر لي وترحمني * أكن من الخاسرين ﴾ [هود/٤٧] ، ودعا بها سيدنا يونس : ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس/٨٦]، ودعا بها سيدنا موسى : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا * وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف/١٥٥] ، ودعا بها سليمان : ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل/١٩] ، ودعا بها أصحاب الكهف : ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة * وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾ [الكهف/١٠] ، والدعاء بالرحمة على لسان رسولنا الكريم يتكرر بأساليب مختلفة ، قال تعالى : ﴿ وقل : رب اغفر وارحم * وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون/١١٨] ، ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام المأثورة : "اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت" [رواه أبو داؤد بإسناد جيد] ، وقوله : "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" [أخرجه النسائي والحاكم ، وصححه الطبراني بإسناد صحيح] ، وبها يدعو المؤمنون : ﴿ واعف عنا * واغفر لنا * وارحمنا * أنت مولانا * فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة/٢٨٦] ، و : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة * إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران/٨] .

والرحمة هي الرقة والتعطف أي رقة القلب وعطفه ، ومن الرحمة يشتق الرحمن والرحيم ، وهما من أبرز أسماء الله الحسنى واشهرها بعد لفظ الجلالة : (الله) ، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في جميع فواتح السور (بسم الله الرحمن الرحيم) ما عدا سورة التوبة التي نزلت بدون البسملة ، كما ذكر اسم الرحمن واسم الرحيم منفصلين في الكثير من الآيات القرآنية ، والمصلي يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم ، فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب : (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم) ، وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه ، فإذا أدى السنن زاد عن ذلك .. (١) .

والرحمن أخص من الرحيم ، وأكثر مبالغة منه ، ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قل : ادعو الله أو ادعوا الرحمن ﴾ [سورة الإسراء/١١٠] ، وقال الرسول الأعظم ﷺ : قال تعالى : "أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته" [رواه الترمذي] ، ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها ، وهي أبعد من مقدورات العباد ، ورحمة الرحمن تعمّ العالمين مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وطالحهم ، برّهم وفاجرهم ، أي تعمّ الخلق جميعاً ، ورحمة الرحيم تخص المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ [الأحزاب/٤٣] ، وقيل الرحمن من ستر في الدنيا ، والرحيم من غفر في العقبى ، وقال عبد الله بن المبارك : (الرحمن) إذا سئل أعطى ، و : (الرحيم) إذا لم يسأل غضب ، وقال السدي : (الرحمن) يكشف الكروب ، و : (الرحيم) يغفر الذنوب .. (٢) .

والرحمة : وهي قاعدة قضاء الله تعالى في خلقه ، تشملهم وتحيطهم

(١) كتاب : الإيمان والحياة - د/يوسف القرضاوي : ص/٢٨٧-٢٨٨ .

(٢) المختصر من معاني أسماء الله الحسنى - محمود سامي : ص/١٤ .

في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة أيضاً ، قال تعالى في سورة النور، آية/١٤ : ﴿ ولو لا فضل الله عليكم * ورحمته في الدنيا والآخرة * لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ ، قد كتبها الله على نفسه ، قال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام/٥٤] ، وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : (لما قضى الله الخلق "وعند مسلم : لما خلق الله الخلق" كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي" ، وعند البخاري في رواية أخرى : (إن رحمتي غلبت غضبي) ، وإنه لفضل عظيم من الله أن يجعل رحمته لعباده مكتوبة عليه ، كتبها هو على نفسه ، وجعلها عهداً منه لعباده ، كما أن إخباره لعباده بما كتبه على نفسه من رحمته ، والعناية بإبلاغهم بهذه الحقيقة وعلمهم بها ، هي تفضل آخر من الله عزوجل حيث تبعث الاطمئنان في كل ما يمر بالمؤمن من ابتلاءات بأنها ليس تخلياً من الله عزوجل عنه أو طرده جل شأنه من رحمته ، وإنما تخفي وراءها الخير كله للمؤمن ، كما أنها تضفي الثقة في أن كل زلة للمسلم ، سيغفرها الله ، إن شاء برحمته ، فلا ييأس أو يقنط من ذنوبه ، بل يجدد توبته ، ويزيد من استغفاره ليعود إلى سالف عهده .

ولبيان ولتمثيل حجم الرحمة التي كتبها الله على نفسه ، فلنعلم أن جميع أشكال وصور الرحمة التي تعيش في كنفها جميع المخلوقات منذ بدء الخليقة ، وحتى يومنا هذا ، وستستمر إلى يوم القيامة ، ما هي إلا جزء واحد فقط من مائة جزء ، قال رسول الله ﷺ : "جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه" [أخرجه الشيخان ، وأخرج مسلم]، قال رسول الله ﷺ : "إن لله مائة رحمة ؛ فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة" ، وقال : "إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة" ورحمة الله سبحانه وتعالى بجميع خلقه

أوسع وأشمل وأكبر من أن تحدد أو يحصيها عدد ، ولا نهاية لها ، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها ، قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شئ ﴾ [الأعراف/١٥٦] ، ورحمة الله تفيض على عباده جميعاً ، وتسعهم جميعاً ، وبها يقوم وجودهم ، وتقوم حياتهم ، وهي تتجلي في كل لحظة من لحظات الوجود ، أو لحظات الحياة للكائنات ، وفي حياة البشر خاصة ، فلا غلك أن نتابعها في كل مواضعها ومظاهرها ، ولكننا سنذكر منها لمحات في مجالاتها الكبيرة :

إنها تتجلى ابتداء في وجود البشرية ذاته ، في نشأتهم من حيث لا يعلمون ، وفي إعطائهم هذا الوجود الإنساني الكريم بكل ما فيه من خصائص يتفضل بها الإنسان على كثير من العالمين ، وتتجلى في هدايتهم إلى الإيمان بإرسال الرسل إليهم بالهدى كلما نسوا أو ضلوا وأنزل معهم الكتب السماوية ، فالقرآن الكريم رحمة ، قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ * وهدىً ورحمةً * وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل/٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ وننزل من القرآن * ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ [الإسراء/٨٢] ، ففي القرآن شفاء ورحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان ، فأشرقت وتفتحت لتتلقى ما في القرآن من روح و طمأنينة و أمان ، فيه شفاء من داء الوسوسة ، ومرض القلق ، ونصب الحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيسكن ويطمئن ، ويستشعر الحماية والأمن ، ويرضى فيستروح الرضى من الله ، والرضى عن الحياة ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ، وفي القرآن شفاء من الهوى ، والدنس ، والطمع ، والحسد ، ونزغات الشيطان ، وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب ، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ، وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي ،

ويأخذه بمنهج سليم مضبوط ، يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً ، ويعصمه من الشطط والزلل ، وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط ، فيحفظه سليماً معافىً ، ويدخر طاقته للإنتاج المثمر ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ، وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات ، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها ، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي ، وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .. (١) .

كما أن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناكَ إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء/١٠٧] ، وقال ﷺ : "إنما أنا رحمة مهداة" كما وصفه ربه بها ، وقد كانت هذه الصفة هي الهيمنة على سلوكه ، فقال جل شأنه : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة/١٢٨] ، بل أكد رب العالمين أن فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكه كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة ، إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم * ولو كنت فظاً غليظ القلب * لا نفضوا من حولك ﴾ [آل عمران/١٥٩] ، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ، فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيماً بهم ، ليناً معهم ، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر ، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم ، وضعفهم ونقصهم ، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ، ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، يحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية ، والعطف والسماحة ، والود والرضا ، وهكذا كان

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٤ ، ص/٢٢٤٨ .

قلب رسول الله ﷺ ، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ، ووسعهم حلمه ، وبره وعطفه ، و وده الكريم ، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة ، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته .. (١) ، وما أحوجنا نحن المسلمين إلى داعٍ وإمام ، يتصف بصفات رسول الله ﷺ ، فيستحق رحمة الله ، فتلين له قلوب العباد ، ويلتفون حوله ليعيدوا للإسلام ازدهاره وللمسلمين مجدهم ، قال تعالى في سورة الأحزاب/٢١ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ .

وتتجلى رحمة الله بعباده في القضاء على الفرق ، والاختلافات بين الناس ، والتفافهم حول جماعة واحدة ، وفرقة واحدة ، قال تعالى في سورة هود/١١٨-١١٩ : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة * ولا يزالون مختلفين * إلا مَن رحم ربك ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجة : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ؛ فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ؛ فإحدى وسبعون في النار ، و واحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار" ، قيل : يا رسول الله ! مَن هم ؟ قال : (الجماعة) ، وكثرة الاختلافات بين الناس ، وتنوع مذاهبهم ، وتعدد عقائدهم وآرائهم ، وخضوعها للأهواء ، والمصالح الشخصية ، وإسلامها تارة للشرق وتارة للغرب ، وتعصب كل فرد لرأيه يعادي به ، ويقاتل من أجله كل مخالف له ، هو نذير عدم رحمة من الله ،

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/١ ، ص/٥٠٠-٥٠١ .

خاصة إذا كانت هذه الفرق داخل الصف المسلم ، بينما تصح تعدد الآراء واختلافها إن كانت جميعها تنبع من معتقد واحد ، ويبتغي بها وجه الله ، وتهدف مصلحة الجماعة ، ولا تؤدي إلى انشقاق الصف المسلم .

وتتجلى الرحمة الإلهية في قاعدة التكليف ، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [البقرة/٢٨٦] ، تشير الآية الكريمة إلى رحمة الله وعدله في التكاليف التي يفرضها على المسلم في خلافته للأرض ، فلا يتبرم منها ، ولا يضيق بها صدراً ، ولا يستثقلها كذلك ، وهو يؤمن بأن الله الذي فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته ، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه ، ومن شأن هذا التصور فضلاً عما يسكبه في القلب من راحة وطمأنينه وأنس ، أن يستجيش عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه ، وهو يحس أنها داخله في طوقه ، و لو لم تكن داخلة في طوقه ما كتبها الله عليه ، فإذا ضعف مرة أو تعب مرة ، أو ثقل العبء عليه ، أدرك أنه الضعف لا فداحة العبء ! واستجاش عزيمته ، ونفض عن نفسه ، وهم همة جديدة للوفاء ، ما دام داخلاً في مقدوره ! و هو إيحاء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق ! فهي التربية كذلك لروح المؤمن وهمته وإرادته فوق تزويد تصوره بحقيقة إرادة الله في كل ما يكلفه .. (١)، وإبلاغنا بهذه الآية الكريمة رحمة لنا ، لأنها بمثابة اطمئنان ، وإثارة لطاقة الإنسان ، فمهما يقع على عاتق الإنسان من متاعب وأهوال ، فلا يضيق بها ولا ينزعج ولا يفر منها ، لأنها تعد استكشافاً لطاقات كامنة داخلة لم يكشفها من قبل إذ ما آمن وأيقن أن ما كلف به ، فهو قدر طاقته ، كما أخبرنا العليم الحكيم .

وتتجلى رحمة الله في النفس الناهية عن السوء التي تقف حائلاً دون ارتكاب المعاصي والآثام ، قال تعالى : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا من

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/١ ، ص/٣٤٤ .

رحم ربي ﴾ [يوسف/٥٣] فهذه النفس الحية التي توقظ صاحبها من الغفلة ، وتذكره بالله ، وتثبت في نفسه دائماً الخوف منه ، والإيمان بحسابه وعقابه في الدنيا والآخرة ، فتنهى صاحبها عن السوء ، بل وتدفعه جرياً إلى الاستغفار والتوبة ، هي رحمة من الله عزوجل ، فسدُّ أبواب الرذيلة والوقاية من الوقوع في المعاصي ، وصرف القلوب والجوارح عن الآثام ، وتوجيهها إلى الله من أجل مظاهر رحمة الله ، ومن رحمته بعباده أنه جلَّ وعلا نهى من عظمت ذنوبهم منهم وكثرت ، عن اليأس من رحمته ، قال تعالى : ﴿ قل : يا عبادي ! الذين أسرفوا على أنفسهم * لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر/٥٣] ، كما تتجلى رحمته تعالى في التجاوز عن سيئاتنا إذا عمل أحدنا السوء بجهالة ثم تاب ، وفي المجازاة عن السيئة بمثلها ، ومجازاته على الحسنة بعشر أمثالها ، والمضاعفة عن ذلك لم يشأ ، ومحو السيئة بالحسنة ، وفي تأخير العقاب إلى يوم القيامة ، قال تعالى في سورة فاطر آية/٤٥ : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة * ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى * فإذا جاء أجلهم * فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ ، ويوم القيامة لا يبلغ أحد أن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته حتى رسول الله ، كما قال عن نفسه ، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله" ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" .

وتتجلى رحمة الله في النجاة من المهالك والتي لا يتنجي منها مهما اتخذ من الأسباب إلا برحمة من الله ، قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام في سورة هود آية/٤٢-٤٣ : ﴿ ونادى نوح ابنه * وكان في معزل * يا بني ! اركب معنا * و لا تكن مع الكافرين * قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء * قال : لا عاصم اليوم من أمر الله * إلا من رحم * وحال بينهما الموج * فكان من المغرقين ﴾ ، لقد اتخذ ابن سيدنا نوح من الأسباب ما يظن أنها تنجيه من أمر الله ، فأعتقد أن الطوفان لا يبلغ رؤوس الجبال ، وأنه لو تعلق في

رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق ، ولكن سيدنا نوح : وهو المدرك لحقيقة هذا الأمر يخبره بأن لا جبال ، ولا مخابئ ، ولا حام ، ولا واق ، ولا غيرهم من الأسباب تنجي من أمر الله إلا من شملته رحمة الله بالعناية والحماية ، وما أكثر المهالك التي تحيط بنا وتغمرنا من رأسنا حتى أخمص قدمنا ، وما هناك أدني بصيص في النجاة منها ما لم تشملنا رحمه الله ، ورحمة الله وجدها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، حينما ألقاه الكفار في النار ، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه ، و وجدها يوسف عليه السلام في الجب ، كما وجدها في السجن ، و وجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ، و وجدها موسى عليه السلام في اليم ، وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة ، كما وجدها في قصر فرعون ، وهو عدو له متربص به ويبحث عنه ، و وجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور ، و وجدها الرسول الحبيب ﷺ ، وصاحبه في الغار ، والقوم يتعقبونهما ، ويقصون آثارهما ، وبرحمة الله نجى سيدنا هود ، وصالح ، وإبراهيم ، وشعيب ، ويونس من مكائد قومهم التي دبرت للإطاحة بهم ، وجهض دعواتهم .

وتتمثل رحمة الله في الشفاء من الأمراض مهما اشتدت وطأتها ، وبات البراء منها ميئوساً ، وضرب لنا القرآن مثلاً بسيدنا أيوب ، فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شئ كثير ، وأولاد كثيرة ، فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره ، ثم ابتلي في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عزوجل ، حتى عافه الجليس ، وأفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره في وفاء ، قلما ما نجد مثله في أيامنا هذه ، ويقال : إنها احتاجت فصارت تخدم الناس ، فتجلت رحمة الله عليه ، فشفي من الأمراض ، بل وعوض عن ما فقده ، قال تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربَّه أنّي مسَّني الضرّ * وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له * فكشفنا ما به من ضر * وآتيناه أهله * ومثلهم معهم رحمة من عندنا * وذكرى للعابدين ﴾ .

[سورة الأنبياء/٨٣-٨٤]

وتتجلى رحمة الله في رزق كل زوجين بالأبناء ، وتبدو مظاهر تجليها أكثر فيما إذا كان هذا الرزق لشيخ كبير ولزوجة عقيم ، وهو الذي نعتبره نحن البشر فوق العادة أو غير المألوف ، فسيدنا زكريا هذا الشيخ العجوز و زوجته العاقر التي لا تلد ، قد وهب الله لهما يحيى ، قال تعالى : ﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربّه نداءً خفياً * قال : رب ! إني وهن العظم مني * واشتعل الرأس شيباً * ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالي من ورائي * وكانت امرأتي عاقراً * فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب * واجعله رب رضيا * يا زكريا ! إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى * لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ [مريم/١-٧] ، فلا يستسلم عديمو الإنجاب للقوانين البشرية المحدودة المعرفة ، ولا ييأسوا أبداً مهما طال بهم العمر بل يلجأون إلى المولى عزوجل مستنجدين برحمته .

كما أن المكتشفات العلمية ، والمنشئات البنائية بنت كل عصر ، ومعجزته هي صورة رحمة الله ، وهكذا كان بناء ذي القرنين للسد لمنع يأجوج ومأجوج من الفساد ، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى في سورة الكهف الآيات/٩٤-٩٨ : ﴿ قالوا : يا ذا القرنين ! إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض * فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً * قال : ما مكني فيه ربي خير * فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً * آتوني زبر الحديد * حتى إذا ساوى بين الصدفين * قال : انفخوا * حتى إذا جعله ناراً * قال : آتوني أفرغ عليه قطراً * فما استطاعوا أن يظهروه * وما استطاعوا له نقباً * قال : هذا رحمة من ربي * فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء * وكان وعد ربي حقاً ﴾ ، وفي هذا العصر وأعداء الإسلام يحيطون بنا من كل جانب لا يهدأ لهم بال ، ولا يهنأ لهم حال ، حتى يجدوا كل وسيلة أحدث وأكفأ من سابقتها للفتك بنا ، لن ينقذنا منهم إلا رحمة الله تقدر لنا بناء تجهيزات تحمينا من أسلحتهم ، بل والرد عليهم الصاع صاعين .

[للحديث صلة]

زيارة المرضى .. وآدابها

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض

دين الإسلام : دين التآلف والترابط ، دين تدعو تعاليمه إلى المحبة والصلة بين أبنائه ، مما يزيل الجفوة من النفوس ، ويثبت أركان التآخي ، وأواصر الألفة ..

فكانت رابطة الإيمان ، أقوى وشيجة ، تكون سبباً في إزالة الجفوة ، وتمكين المحبة .. وكانت عقيدته من وسائل الألفة بين قلوب عباد الله المؤمنين ، حيث امتنّ الله بها عليهم بعد أن كانوا جفاة متفرقين ، يقول سبحانه : ﴿ وألّف بين قُلُوبهم * لو أَنْفَقْتَ ما في الأرْضِ جميعاً * مَّا ألّفت بين قلوبهم * ولكنّ الله ألّف بينهم * إنه عَزِيْزٌ حكِيْمٌ ﴾ . [الأنفال/٦٣]

تعاليم دين الإسلام بمصدريه : الكتاب والسنة ، التي قرعت أسماع الصحابة ، عندما منّ الله عليهم بالإسلام ، جعلتهم يحرصون على ترسيخ أواصر المحبة ، وتأصيل عرى الأخوّة الإيمانية ، بين بعضهم ، غير مميزين بين عربي أو عجمي ، وبين أبيض وأسود ، إلا بالتقوى : ﴿ إنّ أكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ ﴾ . [الحجرات/١٣]

فقد جعلت أوامر هذا الدين للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً ، يلزمه الوفاء بها ، و الحرص عليها ، فقد روى البخاري و مسلم حديثاً ، رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : "حق المسلم على المسلم خمس : ردّ السّلام ، وعيادة المريض ، واتّباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ،

وتشميت العاطس" .. و في حديث البراء بن عازب زيادة : "وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم" ..

وكل هذه الأمور إذا تمعّن فيها المرء يراها بسيطة الأداء ، عظيمة الأثر ، تقرّب القلوب ، ولا تكلف شيئاً ، وجاء معها وعد بالأجر الكبير عند الله ، مما يعطي نظرة حول دين الإسلام بأنه سبق الحضارات كلها إلى مفهوم السلام ، وعمق المحبة ، التي لم تكن لمصالح دنيوية ، وفي مقدمتها زيارة المريض .. واتّباع جنازته إذا توفي ، فالمصائب التي تقع على الإنسان كالمرض وغيره ، هي ابتلاء للنفس البشرية ، وامتحان لما يعمله صاحبها ، وما يتعاطف معه إخوانه المسلمون من أجله .. فهو كمريض : فالمرض تطهير للنفس مما اقترفته من سيئات ، وتذكير لغيره بأن كل فرد معرض للمرض ، وما يجب أن يقوله المريض عند ما يقع عليه : دعاء مع الله ، واحتساباً لما وراء ذلك من أجر ، وتحملاً وعدم الجزع ..

ولأن المرض امتحان للنفس بالصبر والرضا ، فإن الصدمة الأولى المصيبة : سواء كانت مرضاً أو فاجعةً تعتبر امتحاناً عندما تقع : هل يرضى ويستسلم لقضاء الله وقدره ، ويحمد الله على ذلك ليحاسب نفسه عما بدر منها ، فيما بينه وبين الله بحقه سبحانه ، أو ما بينه وبين الناس في حقوقهم الخاصة : من مال ، أو عرض ، أم يتسخّط ويجزع ، وينكر نعمة الله عليه وفضائله التي لا تعدّ ؟!

فالصبر والاحتساب لأمر الله عند الصدمة الأولى واجب ، وإن لم يصبر ، فإنه لم يجن إلا على نفسه ، ذلك أن المصيبة التي حلت به - كالمرض مثلاً - لن يزيلها الجزع ، وعدم الرضا ، بل يكسب إثماً مع ألم المصيبة ، أما الصابر رضاً بما قدر الله عليه ، واحتساباً لما عند الله ، فإنها تخف عليه آلامها الجسمية والنفسية ، ويثاب على ذلك ، والناس في المجتمع

أعوان على الخير ، لأنهم يتأدّبون بأدب دين الإسلام ، وينطلقون في مصالحه ما يقع عليهم في أنفسهم ، بما تدعوهم إليه تعاليمه ، وما صدر من أوامر في مصدري التشريع : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وما فهمه ، وطبّقه المدركون لعمق الدلالة من الرعيل الأول من هذه الأمة ، والعلماء هم الفاهمون في كل عصر ومصر ، لأنهم ورثة الأنبياء ، ويعلّمون الناس تطبيقياً لما فهموه من شريعة الله ، وما فيها من علاج لكل أمر يمر بالإنسان ، ومنها مقابلة المرض ، وكيفية التعامل معه ، في النفس أو مع الآخرين ، تهذيباً وصبراً ..

ويبدأ الأدب تعاملياً مع المصيبة ، من الإنسان نفسه ، والمرض والحادث الذي ينتج منه مرض في النفس ، أو أحد الأحبة ، مصيبة من المصائب ، وذلك بالرضا والقناعة ، والدعاء المأثور الذي علمه رسول الله ﷺ أمته ، فقد روي مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : ما من عبد تصيبه مصيبة ، فيقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها ، إلا آجره الله في مصيبتين ، وأخلف له خيراً منها ، قالت : فلما توفي أبو سلمة ، قلت : كما أمرني رسول الله ﷺ ، فاخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ .

كما يأتي من الآداب التي تربط المسلمين ببعضهم ، وتريح المريض ، بل إنها تعطى أثراً نفسياً في راحة النفس والعلاج ، وتخفيف وطأة الألم ، الاهتمام بالمريض ، ومعلوم الأثر النفسي الذي بدأ أطباء الغرب ، يدخلونه في العلاج ، لما له من أثر يعين على النشاط وتفاعل الجسم مع الأدوية ..

يأتي من الآداب ، المسارعة في زيارة المريض ، التي يجنى أثرها الزائر والمزار ، فقد روي ثوبان ﷺ عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم ، لم يزل في فرقة الجنة ، حتى يرجع ، قيل : يا رسول الله ﷺ ! وما فرقة الجنة ؟ قال : جناها" [رواه مسلم] .. وما ذلك إلا أن له

أجراً باستجابته لحثّ رسول الله ﷺ ، ويكسب بذلك راحة أخيه المسلم ومواساته ، وتطييب خاطره ، بهذه المشاركة ، وأداء حقّه عليه ، لأن للمسلم على أخيه المسلم ، حقوقاً عديدةً ، ومنها : "زيارته إذا مرض" .. ولا يؤدّي هذا الحق ، إلا من رقّ قلبه .

وتهذبت طباعه بآداب الإسلام العالية ، وصغرت نفسه ليتواضع لأخيه المسلم في هذا الموقف ، الذي يحتاج فيه ، إلى من يشعره بما يهوّن عليه ألم المرض ، ويخفف عنه المواجس المصاحبة لأعراضه المختلفة ، ويفتح له باب الأمل والرجاء من خالقه سبحانه : دعاء ومواساة ، وما له من أجر ، وحثّاً على الصبر ، وما يحطّ الله عن المريض من الذنوب بسبب احتسابه وصبره ، طمعاً فيما عند الله ، يقول ﷺ : "لا يزال البلاء بالمؤمن ، حتى يلقي الله ، وليس عليه ذنب" ، ويقول : "إذا أحب الله عبداً أصاب منه" ، وقد كان سلفنا عند ما يزورون المريض ، يطلبون منه أن يدعو لهم ، ويقولون : إن دعوته مستجابة .

ففي فضل الزيارة وأجر الزائر جاء عند الترمذي حديث رواه علي بن أبي طالب مرفوعاً : "ما من مسلم يعود مريضاً ويدعو له ، غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح" .

وعن دعاء الزائر للمريض ، فهو أدب يشعر المريض باهتمام أخيه المسلم به ، وحرصه على ما ينفعه ، حيث روت عائشة رضي الله عنها أن النبي الكريم ﷺ : كان إذا اشتكى الإنسان الشئ منه ، أو كانت به قرحة أو جرح ، قال ﷺ بأصبعه هكذا ، و وضع سفيان بن عينيه - الراوي - سبابته بالأرض ، ثم رفعها ، وقال : بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفي به سقيمنا بإذن ربنا" .

[متفق عليه]

ولما كان الشفاء من الله ، وإنما الطبّ سبب من الأسباب المأمور بها، فإن أدب الزيارة يشعر المريض بأهمية ذلك ، خاصةً عند ما يكون الزائر حريصاً على التأسي برسول الله ﷺ في هدية القولي والفعلي ، كما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي الحبيب ﷺ كان عند ما يعود بعض أهله ، يمسح بيده اليمين ، ويقول : اللهم رب الناس ، اذهب البأس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً" . [متفق عليه]

وهذا الدعاء يحرص الزائر بترسيخه في المريض ، بعد الدعاء له بالدعاء المأثور : أجر وخير ، اللهم اجمع له بين الأجر والعافية ، لكي يربط الطبّ النبوي الماثور : نية وعقيدة ، بالسبب المادي من العلاجات الحديثة ، ليدعو به عند ما يتعاطى تلك الأدوية ، لأن الشفاء من الله ، والعافية يقدرها الله سبحانه وتعالى .

ولكي ترتاح انفعالات المريض ، وتهدأ هواجسه حول ما يعانيه من مرض ، فإن رسول الله ﷺ قد حثّ على أن ينفع المسلم أخاه ، ومن ذلك الرّقية الشرعية التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ، ويرقيهم بها لما لها من أثر في تهدئة خواطر الإنسان الباطنية ، لما روى البخاري عن أنس أنه قال لثابت : ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : اللهم ربّ الناس ، مذهب البأس اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً" .. وهذه الرقية تزيد المريض توكلاً على الله ، ورضاً بما قسم الله .

ومن آداب الدعاء للمريض ، أن يكون بحضور قلب ، وباعتقاد المنفعة ، تصديقاً لما وعد به رسول الله ﷺ ، لما روى الترمذيّ ، وأبو داؤد ، والحاكم عن ابن عباس عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "من عاد مريضاً لم يحضر أجله ، وقال : عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يشفيك : إلا عافاه الله من ذلك المرض" .

كما يأتي من أدب الزيارة للمريض عدم الإطالة عنده ، واختصار الحديث عنده ، وأن يكون الحديث بما يدخل السرور على قلبه ، ويبعث الأمل في الشفاء ، ويعطيه جرعة أمكن من جرعات الأدوية التي يصفها الطبيب ، فقد دخل رسول الله ﷺ على أعرابي يعوده ، وكان إذا دخل على من يعوده ، قال : "لا بأس ، طهور إن شاء الله ، رواه البخاري ، والمعنى أنه لا بأس عليك ، من هذا المرض إن شاء الله ، لأن المرض للمسلم المحتسب أجر ، وتكفير من الخطايا ، وأن مرضك مطهّر لذنبك ، مكفّر لعيبك إن شاء الله ، وما عليك من ذنوب .

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي مرّ بنا : "لا يزال البلاء بالمؤمن ، حتى يلقى الله وليس عليه ذنب ، كما أن الدارس لتراجم بعض علماء السلف من التابعين وأتباعهم ، كانوا يتمنّون المرض ، ويحتسبون ما عند الله في تلقّي البلاء ، لما يرجون من حطّ الخطايا ، وغفران الذنوب ، وعظم الأجر .

ويأتي من آداب تعاطف المسلمين فيما بينهم ، وإحساس بعضهم باهتمام البعض الآخر : سؤال الأهل والأقارب عن حال مريضهم ، والدعاء له أمامهم ، وإدخال السرور عليهم في القول والفعل ، تعاطفاً ومواساةً ، و تقديم النصيحة والمشورة وفق ما أوضح رسول الله ﷺ عن فضل المرضى ، وما فيه من أجر ، وما يجب إذا شَعَروا بدنوّ أجل المريض من تلقينه ، الشهادتين وتذكيره الآخرة ، وإغماض عينيه إذا قضى الله أمره الذي لا يردّ ، و وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه ، واحتماله والصبر على ما يشقّ .. وعدم الجزع بعد الموت .

ولا ينافي التوكل على الله ، أن يقول المريض : أنا وجع أو بي شدّة من الوجع ، أو وا رأساه ، ونحو ذلك مما يشكو منه المريض ، بل من الأدب حثّه برفق وحسن معاملة على الصبر ، وحثّ ذويه على ذلك ، وإخبارهم

أنه لا كراهة في ذلك ، إذا لم يكن على التسخط ، وإظهار الجزع ، وقد شكا عثمان بن العاص ﷺ لرسول الله ﷺ أنه يجد وجعاً في جسده ، فقال له النبي الكريم ﷺ ، قُل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر ، يكون ذلك ويدك على الذي يؤلم من جسدك" . [رواه مسلم]

وندرك من الآداب الشرعية في زيارة المريض بعض التوصيات التي نوجّهها لكل زائر يحبّ أن تكون زيارته نافعة لأخيه المسلم المريض ، ومؤدّيه ما له من حقّ على أخيه المسلم التي حددهما رسول الله ﷺ ، بخمس خصال : زيارة المريض واحدة منها ، وتشييع جنازته إذا توفي واحدة منها أيضاً ، فنوجّه هذه التوصيات :

★ متى بلغك مرض صديق لك أو قريب ، أو مسلم تربطك به العقيدة ، فيجب عليك زيارته للوقوف على حالته ، والاطمئنان على صحته ، وتخفيف الألم عليه بالدعاء ، والحثّ على الصبر ، واحتساب ما عند الله .

★ إذا أردت أن تزور مريضاً ، وعلمت باشتداد مرضه ، أو اصابته بمرض مُعدٍ، فلا تدخل عليه فتقلق راحته ، وتذكره بسوء حالته ، بل ابعث له بسلامك ، وسَلْ عن صحته أقرباءه ، وأكثر من الدعاء له بظهر الغيب ، فإنها حرّية بالاستجابة .

★ إحذر أن تذكر عبارات تكدّر خاطر المريض أو وصف آلام الأمراض ، وصعوبة الأدوية وتعاطيها ، أو ذكر أضرارها حتى لا تدخل الوسوسة عليه ، وينبغي أن يكون وقت زيارتك قصيراً ، حتى لا تثقل على المريض أو ذويه ، وأن يكون حديثك هادئاً حتى يسمعه المريض ، ولا تكثر عنده من الحديث عن أمور الناس و أرباحهم وتجاراتهم ، وما إلى ذلك ، لأن هذا مما لا ترتاح إليه نفس المريض ، لما هو فيه من شغل بنفسه ، وبما يحسّ به من آلام .

★ من العبث لوم المريض على تهاونه في العلاج ، أو الأكل حسبما يراه طبيبه ، إن كان يتعالج في المستشفى أو ما تستدعيه حالته المرضية ، إن كان مرضه معروفاً ، فإن ذلك مما يزيد آلامه ، ويذبذب أفكاره ، ولا تذكر الموت عنده ، ولا من مات بمرض شبيه بمرضه ، فإن الموت وإن كان حقاً ، لكنه مما لا يرتاح لسماعه المريض .

★ إن مما يرتاح إليه المريض ، أن يكون الزائر يحسن سماع شكوى المريض ، ويخفف آلامه بما يريح النفس ، ويبعث الأمل ، وذلك بمحاولة تسكين الآلام بعبارات لطيفة تريح المريض ، وتجلب السرور إلى نفسه ، وتشجّعه على الصبر وتحمّل المرض ، بكلام وجيز ، وإزالة الخوف عنه ، وإكثار الدعاء له بالصحة والشفاء العاجل ، وأن يزيل الله عنه ما ألمّ به ، وأن يجمع الله له بين الأجر والعافية .

★ خطر دفعه الله : ذكر التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة : أن رجلاً كان بالكوفة ، مشهوراً بها ، كان يجئ إلى أصبع خفّان - موضع بظهر الكوفة - وهو بناء قديم مشهور بنواحي الكوفة ، كالقائم يقالِ : إنه كان مرقباً للأكاسرة على العرب ، وهو مجوّف ، وفي داخله درجة ، فيصعدها إلى أن يسمو فيه على تسعين ذراعاً ، ثم لا يبقى موضع صعود لأحد ، وبه سطيح حرّاس المنارة ، ويقف الإنسان فيه ، وله منافذ يرى منها البرّ ، وتكون المنافذ إلى أسفل صدر القائم فيه ، وعلى باقي البناء قبّة كالبيضة ، لا يصل إليها من يكون هناك ، كما تكون رؤوس المنائر .

وكان هذا الرجل يخرج نفسه من بعض المنافذ ، ويتقلّب فيصير فوق البيضة ، بحذق ولطف قد تعوّدهما ، وكان قد جعل قديماً فوق البيضة حجر مدوّر كالرّحى ، له سفّود حديد ، لا يعرف الغرض من تصييره ، هناك لطول الزمان فيقلب الرجل نفسه من النافذة ، فيقعد فوق تلك الرّحى ، وكان القائم مبنيّاً على حرف النّجف ، وطوله إلى بطن النجف أكثر

من ألف ذراع أو نحوه ، فيصير الرجل عالياً علواً عظيماً ، ويعجب الناس من ذلك ، ويأخذ عليه منهم البرّ ، وإن رجلاً أتاه وهو متنبّذ ، فأعطاه شيئاً ليصعد للقائم ، ففعل ذلك جارياً على عادته ، ولغلبة النبيذ عليه لم يتحرز التحرّز التامّ ، لمّا أخرج نفسه من أحد المنافذ ، لينقلب على الرّحى ، فاضطرب جسمه ، وعلق بالرحى ، وجاء ليركبه ، فانقلع الرحى معه ، وهويا جميعاً من ذلك العلوّ المفرط إلى بطن النّجف ، ولثقل الحجر ، وأن الرجل لم يكن تحته ، سبق الحجر إلى الأرض ، فتقطّع قطعاً، ودخلت الريح في ثياب الرجل ، ورآه الناس فصاحوا به ، وكبّروا عجباً ، والريح تحمل الرجل على مهل ، حتى طرحته في قرار النّجف ، فقام يمشي ما أصابه شئ البتّة ، حتى صعد من موضع سهل ، أمكنه الصعود منه إلى أصبع خفّان مرة أخرى .

وحدثني الشريف أبو الحسن - أيده الله - أن هذا شائع ذائع بالكوفة ، لم يكن في عمره ، ولكن أخبره به ، جماعة كبيرة ، من شيوخ الكوفة . [٤/١٠٢-١٠٣]

وشبيه بذلك : أن وفداً مثل بين يدي المنصور العباسي ، فدعا برجل وكلمه ثم أمر بضرب عنقه ، فجذب ليقتل فقام الفرائضي ، وقال : يا أمير المؤمنين ! إن رأيت أن تأمر بالكفّ عن قتل هذا حتى أخبرك بشئ سمعته عن الحسن ، فأمر بالكفّ عنه ، وقال : قل فقلت : سمعت الحسن يقول : قال ﷺ : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الأولين ، والآخرين في صعيد واحد ، ينفذهم البصر، ويسمعهم المنادى ، ثم يقوم منادٍ من قبل الله تعالى ، فيقول : إلا من كان له حقّ على الله فليقم ، فلا يقوم ، إلا من عفا .. فقال أبو جعفر : الله الشاهد عليك ، أنت سمعت الحسن ، يقول ذلك ؟ قلت : نعم سمعته يقوله .. فعفا عن الرجل ، وأطلقه ، فانصرف الرجل ، وهو يحمد الله على السلامة . [السابق : ص/٨٦]

★ ★ ★

الجهاد : مفهومه ، ومشروعيته !

بقلم : الأستاذ تاج محمد
جامعة الأزهر الشريف ، القاهرة – مصر

الجهاد : مصدر جاهد المزيد بحرف ، وهو مأخوذ من الجَهد - بفتح الجيم - أي التعب والمشقة ، أو من الجُهد - بضم الجيم - بمعنى الطاقة ، لأن كل واحد من المجاهدين يبذل طاقته وقوته في دفع صاحبه عنه ، وهو في اصطلاح الشرع بذل الطاقة ، واستفراغ الوسع في مدافعة العدو ، و أطلق على قتال الكفار ، لنصرة الإسلام و إعلاء كلمة الله من باب الحقيقة العرفية .

★ سبب مشروعيته :

لما بدأ محمد ﷺ يكلم الناس في الإسلام ، ويعرض عليهم الدّين الذي أرسله الله به ، وكان ذلك في بطن مكة سراً لمدة ثلاث سنين أخذت فيها الدّعاية للإسلام تنتشر في مكة ، وتعمل عملها في أصحاب القلوب الكبيرة ، فسرعان ما كانوا يتركون جاهليتهم الأولى ، ويعتنقون الدين الجديد ، ويلتقون - في حب وإعجاب - حول رسولهم ، ويشرحون في حذر أصول فكرتهم ، وآيات الكتاب التي تتلى عليهم ، ولما أمر الرسول الكريم ﷺ أن يجهر بالدعوة أظهرها على ملاء من مكة من فوق جبل الصفا القريب من المسجد الحرام ، وآذن بطون قريش ورجالها بأنه نذير لهم من بين يدي عذاب شديد ، فهاجت مكة وماجت ، وأعلن صناديدها العداء لمحمد ﷺ ودينه الجديد ، وحزن محمد الرسول الحبيب ﷺ لهذا الإعراض المقرون بالتكذيب والتحدى من قومه وعشيرته ، وعلى رأسهم عمه أبو لهب ،

مع أنهم هم الذين كانوا بالأمس القريب يلقبونه بـ (الصادق الأمين) غير أن الله واساه فأبان له بواطن أولئك المكذبين ، وأنزل عليه قوله : ﴿ قد نعلم * إنه ليحزنك * الذي يقولون * فإنهم لا يكذبونك * ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ .

وبذلك سهل على محمد ﷺ أن يمضى في تبليغ دعوته ، وأن يجتاز ما يلقى أمامه من صعاب وعقبات ، وعلى المؤمنين برسالته أن يثبتوا ويصبر ، وفاءً بحق الإيمان ، وتركيزاً لدعائم البنيان ، وحفاظاً على مصلحة الأجيال المقبلة ، فإن هؤلاء السابقين أصول عريقة ، لامتداد الرسالة إلى الأجيال من بعدهم حتى تعّم المشارق والمغارب .

وإزاءَ صلابة اليقين ، وروعة الاستمساك بهذا الدين قرّر مشركو مكة محاربة الإسلام ، وإيذاء الدّاخلين فيه بألوان النكال ، والإيلام ، فزلزلوا الأرض تحت أقدامهم ، وحرقوا بالحديد المحمى أجسامهم ، وبعض أطرافهم ، واستباحوا دماءهم وأموالهم ، وتألفت جماعة للاستهزاء بالإسلام ورسوله ، والسخرية والتحقير بأتباعه ، واتهموا محمداً نفسه بالجنون ، والشعر ، والكهانة ، والسحر ، وصبّوا حام غضبهم على المؤمنين به حتى ألجأهم إلى الخروج والهجرة إلى أرض الحبشة ، ومع كل ذلك ظلّ محمد ﷺ كالجبل الراسخ يصب الثقة في قلوب رجاله بمكة ، ويفيض عليهم ما أفاض الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الإسلام ، وأن حزب الله هم المفلحون ، فوجد مشركو مكة أن بطشهم بالمستضعفين ، لم ينجح ، وأن وسائل التهكم ، والسخرية ، لم تفلح ، فإن أحداً ممن أسلم لم يرتد عن دينه بعد أن شرفه الله به ، بل كان المسلمون يزيدون .

ومن أجل ذلك فكروا في أسلوب آخر ، وتجربة جديدة ، وهي أن يعرضوا على محمد من الدنيا ما يشاء ، فأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة ، فأخذ يقول : "يابن أخي ! إنك منّا حيث قد علمت من المكان في النسب

والحسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها ، إن كنت تريد بهذا الأمر جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا ، فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبيب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ" .

فلما فرغ عتبة من قوله تلا رسول الله ﷺ عليه سورة فصلت : ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً نذيراً * فأعرض أكثرهم * فهم لا يسمعون ﴾ ، حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة * مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ، وبعد أن سمع عتبة آيات القرآن استيقظ ما كان نائماً من فكره ، وبعد أن سمع الوعيد قام من فوره ، و وضع يده على فم النبي الحبيب الأعظم ﷺ ، وهو يقول : "أمسك يا محمد ! حسبك" ، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمداً وشأنه ، فإن ظهر على العرب ، فهو فخر لقريش كلها ، و عند ذلك اتهموا بأن سحر محمد خلب عقله ، و بدّل من حاله .

ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد عجزوا أمامه تدرجوا من الأذى باللسان والقول ، إلى الإيذاء بالعمل والبطش ، فألقوا عليه فرث جزور ، وهو ساجد عند الكعبة ، وجلسوا قريباً منه يهزؤون ويتضاحكون ، حتى جاءت فاطمة بنته ، ونحّته عنه ، وكثيراً ما كانوا يضعون القاذورات والنجاسة على بابه وفي طريقه ، ويجثون التراب على رأسه ، و وضع بعضهم ثوبه في عنقه وخنقه خنقاً شديداً ، حتى جاء أبو بكر الصديق ﷺ ، ودفعه بعيداً عن النبي الكريم ﷺ ، وهو يقول : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله * وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ ، واتجهوا كذلك إلى أتباعه بكل غيظ ، وحنق يجردون عنهم ملابسهم ، ويعرضون للفح الشمس ، ونار

الصحراء الساخنة ، ويضربون جلدهم بالسياط ، ويسومونهم سوء العذاب ، طمعاً في أن يردوهم عن دينهم ، ويصرفوهم عن الالتفاف حول نبيهم ، فلم يجدوا منهم إلا جبالاً راسخة ، وقلوباً ثابتة ، وعزائم لا تلين .

بعد ذلك صمّمت قريش على تجويع القوم وحرمانهم ، ومقاطعتهم وحملهم على أضيق الطرق ، وأشق معيشة وأجف حياة ، فاجتمع سادة قريش ، و رؤساء القوم ، وكتبوا صحيفة المقاطعة لبني هاشم ، ومحمد ، وأتباعه ، وعلقوها بالكعبة ، ولجأ المسلمون إلى شعب أبي طالب ، وعاشوا فيه عامين ذاقوا مرارة الجوع فيهما ، وأكلوا أوراق الشجر ، وهم صابرون راسخون في عقيدتهم ، متمسكون بدينهم وحبيبهم ، بل زادتهم المحنة تعلقا بمبادئهم ، وثقة بنصر الله لهم : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي * إن الله قوي عزيز ﴾ .

لقد هال قريشاً أمر المسلمين ، و شأن محمد ﷺ مع أتباعه المحبين ، إنهم بهتوا بما ظهر أمامهم من حب وتفان وإخلاص ، وتضحيات في سبيل محمد ودعوته ، فلابد لهم من موقف شديد ، وتصرف جديد يقضون به على محمد ﷺ ودعوته ، فاجتمع رؤساؤهم في دار الندوة وتشاوروا ، وانتهى أمرهم إلى العزم على قتل محمد ﷺ بأسلوب حسبوه ناجحاً وجديداً يتفرق به دم محمد ﷺ على القبائل كلها ، فلا يقدر بنو هاشم على حرب القبائل ، ويقبلون الدية ، ولكن هيهات - هيهات أن تنال قريش مأربها ، فليس دم محمد الرسول الكريم ﷺ هيّناً عند الله ، وكيف يتم لهم ذلك ، ومحمد في رعاية الله وحفظه ؟ .

خرج النبي من هذه المؤامرة سليماً لم ينالوا منه نيلاً ، وهاجر إلى المدينة ، كما هاجر أصحابه والمسلمون ، ولم يبق بمكة إلا المستضعفون ، واستبدت قريش بهؤلاء الضعفاء ، وفعلوا بهم أسوأ ما يفعل عدو بعدوه ، وترك المهاجرون أموالهم ، وديارهم ، وأكثر عقارهم ، مؤثرين على ذلك دينهم ، و رسولهم ، و قلوبهم ، و ربهم ، و هؤلاء هم الذين أخرجوا من

ديارهم ، وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون .

لقد تمّت هجرة محمد ﷺ وأصحابه ، والتحم المهاجرون بالأنصار ، وعقدت معاهدات التعايش السلمي بين اليهود والنبي الكريم ﷺ ، وقويت شوكة المسلمين ، وأصبح للدعوة المحمدية مركز رئيسي تشع عنه على من حوله ، وهي المدينة المنورة ، ومسجد الرسول العظيم ﷺ .

وعند ذلك اشتد حنين المسلمين إلى الكعبة ، والحرم ، وفكر بعض المهاجرين في استرداد ما أجبرعلى تركه من الأموال ، والديار حيث أصبح يشعر بالقوة والكثرة المسلحة معه ، وتطلعوا إلى عون الله ، ونصره فجاءتهم البشرى : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ أي يدفع عنهم غوائل غدوهم ومكايده ، ثم علل دفاعه عنهم ، بأنهم متصفون بكمال الأمانة ، والإيمان ، فقال : ﴿ إن الله لا يُحبُّ كُلَّ خوّانٍ كَفُورٍ ﴾ ، ثم أبان أن الوسيلة إلى نصر الموعود ، هي الجهاد وقتال الظالمين في المعارك ، وهو سبحانه يتولّى أولياءه بنصره ، ويحوطهم بعنايته ، ويثبّت أقدامهم ، ويلقى الرعب في قلوب أعدائهم ، وهذا في قوله عقب وعده السابق : ﴿ أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا * وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ ، وكانت هذه أول آية تأذن للمسلمين بقتال مشركي قريش ، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة ، التي وقعت فيها غزوة البدر الكبرى إبان شهر رمضان المعظم .

واعتبر ذلك أول تشريع للجهاد يبيح القتال مع مشركي قريش ، ثم أمرهم بذلك صريحاً في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا * إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم * وأخرجوهم من حيث أخرجوكم * والفتنة أشد من القتل * ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام * حتى يقاتلوكم فيه * فإن قاتلوكم * فاقتلوهم * كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوا * فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم * حتى لا تكون فتنة * ويكون الدين لله * فإن انتهوا * فلا عُدوان إلا على الظالمين ﴾ .

وظل الأمر مقصوراً على قتال قريش دون سائر العرب حتى انضم إلى قريش غيرها من قبائل العرب ، واتحدوا معهم على حرب محمد ودعوته وأتباعه ، فأمر الله المسلمين بقتال المشركين كافة ، وقال : ﴿ وقاتلوا المشركين كافةً * كما يقاتلونكم كافة * واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ ، واستمر الوضع كذلك حتى خان اليهود عهد رسول الله ﷺ ، ونقضوا اتفاقهم ، وساعدوا المشركين في حروبهم ضدّ المسلمين ، وتآمروا على الرسول الكريم ﷺ ، وحاولوا قتله غيلةً وغدراً ، فأمر الله رسوله بقتالهم ، ونبذ عهودهم جهراً ، قال تعالى : ﴿ الذين عاهدت منهم * ثم ينقضون عهدهم في كل مرة * وهم لا يتقون * فإما تثقفنّهم في الحرب * فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكّرون * وإما تخافنّ من قوم خيانةً * فانبذ إليهم على سواء * إن الله لا يحب الخائنين ﴾ ، أي اطرح العهد الذي عقد بينك وبينهم على سواء في علم بذلك ، لأنهم خونة غادرون ، وبقي شأن الجهاد على ذلك حتى نزلت على الرسول الكريم ﷺ سورة التوبة في العام التاسع من الهجرة ، وفيها أمر الله بقتال أهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى ، لفساد عقائدهم ، ولأنهم بدّلوا وحرفّوا كتبهم ، وخالفوا ما كان عليه أنبياؤهم في التحليل والتحريم ، قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله * ولا باليوم الآخر * ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله * ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب * حتى يعطوا الجزية عن يد * وهم صاغرون ﴾ .

إن القتال كان ممنوعاً في الأشهر الحرم ، ثم أبيح فيها بعد نزول ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه * قل : قتال فيه كبير ﴾ ، وبالتالي كان القتال محرماً قبل الهجرة ، ثم أمر ﷺ بقتال من قاتله من المشركين ، دفعاً للعدوان ، ثم أذن له في قتال اليهود لغدرهم وخيانتهم المتكررة ، ثم أمر الله بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لانحرافهم و ضلالهم ، و أبيح الإبتداء به في غير الأشهر الحرم ، ثم أمر الله

بالجهاد مطلقاً .

★ أنواعه : وهو على أربعة أنواع : الأول : جهاد النفس والشيطان ، ويكون بمحاربة النفس في ميولها ، وعدم تحقيق رغباتها ، وملذاتها ، وحبسها عن المعاصي ، كما يكون بمخالفة شياطين الإنس والجن ، ودفع ما يزينون من الشهوات ، فإن الشيطان يحيل القبيح جميلاً ، والجميل قبيحاً ، ويظل يغرى المؤمن بما يوسوس في نفسه ، حتى يوقعه في حباله ، ولذلك سماه الرسول الأعظم ﷺ بالجهاد الأكبر حين عاد من غزوة تبوك ، فقال : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

وحكم هذا النوع من الجهاد أنه فرض عين ، وكلف به المؤمن منذ بدء الإسلام ، بل هو عام يتناول المأمورات والمنهيات إذ كل طاعة لله تعالى ، فعلا كانت أو تركا تحتاج إلى مجاهدة النفس والهوى والشيطان .

قال الإمام البوصيري رحمه الله :

و خالف النفس و الشيطان و اعصهما
و إن هما محضاك النصح فاتهم
و لا تطع منهما خصما و لا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم و الحكم

والثاني : جهاد الكفار ، أي قتال المشركين المحاربين ، ويكون بالنفس ، وبالمال ، وباليد ، وباللسان ، وبالقلب ، وما ذلك إلا تصريح جلي من الشرع ، بأن يقوم كل فرد من المسلمين بما في وسعه وطاقته من ألوان الكفاح في سبيل المحافظة على الحياة والسلام .

فمن لا يقدر على حمل السلاح في ميدان ؛ فليعمل بيده ، ويبذل جهده في كل ما ينفع الجنود ، ويهئ لهم طريق النصر ، كإدارة المصانع والمعامل ، وتقديم الدواء والكساء ، وتحضير الآلات ، والقيام بالإمدادات ، وقد قال ﷺ : "من جهز غازياً في سبيل الله ، فقد غزا" .

ومن كان له مال ، وهو صاحب عذر ؛ فعليه أن يقدم المال ليشتري

به السلاح أو ينفق منه على أولاد المحاربين ، وله بذلك أجر المجاهدين مصداقاً لقول سيد المرسلين ﷺ : "ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا".

ومن كان صاحب عذر ولا مال عنده فليجاهد بأي شكل يستطيع أداءه ، يجاهد بلسانه في إقامة الحجة على الكفار ، ودفع وطنهم ، ومكافحة الحرب النفسية ، وفي التوعية ، والتعبية الروحية ، وتقوية الروح المعنوية بين الصفوف الداخلية ، وذلك ما أراده رسولنا محمد ﷺ ؛ حين قال : "جاهدوا بأنفسكم ، وأموالكم ، وألسنتكم" ، وهو واجب على كل مكلف يؤمن بدينه ، ويحافظ على وطنه وعزته ، يشهد ذلك ، قول الله تعالى : ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً * فلا تطع الكفرين * وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ .

ومن لا يقدر على الجهاد لا بسلاحه ولا بماله ، ولا بلسانه ، فعليه أن يقوم بدوره الإيجابي في مزرعته ، أو مصنعه ، أو متجره ، أو حراسة ديار المسلمين ، امتثالا لقول سيد المرسلين : "عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله" .

واستيفاءً للتآزر الأخوي ، والتكافل الحربي بين المسلمين يكلف الله العاجز عن المشاركة والعمل في أي ميدان ، كالأعمى ، والمرم أن يجاهد بقلبه ونيته ، فينكر على هؤلاء المحاربين كفرهم ، ومعاصيهم ويتمنى مخلصاً ، أن لو كان قادراً حتى يمكنه أن يباشر القتال ، ويشارك الأبطال ، يؤيد ذلك ما صح أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك ، ودنا من المدينة ، قال : "إن في المدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ، ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه ، قالوا : يا رسول الله وهم في المدينة !! قال : نعم ، وهم في المدينة حبسهم العذر" ، وقد ورد في الآثار أن عبد الله بن مكتوم - وهو رجل أعمى - كان يخرج مع الغزاة المجاهدين ، ويقول : إدفعوا إلى اللواء وأقيموني بين الصفين فإني لن أفر .

وإن هذه التشريعات ، وتلك النصوص الجلية لتعطينا الصورة الكاملة التي رسمها الإسلام للتضامن ، و التعاون بين جميع المسلمين من

أجل محاربة المشركين ، أعداء الله ، وأعداء الخلق والدين .

وهذا النوع من الجهاد قد يكون فرض عين ، وقد يكون كفاية ، لأن الكفار إن دخلوا بلادنا ودهموا أرضنا أو أسروا مسلماً يتوقع فكاك أسره أو عينه الإمام ، فإنه يكون فرض عين ، قال الله تعالى في ذلك الشأن : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً * وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم * في سبيل الله * ذلكم خير لكم * إن كنتم تعلمون ﴾ ، وأما إذا كان الكفار ببلادهم ، أو لم يعينه الإمام ، ولم تدع إليه حاجة ، فإنه يكون فرض كفاية .

الثالث : جهاد البغاة ، فمن أجل المحافظة على الأمن الداخلي ، واستقرار الأمة في أوضاعها ، واستتباب النظام العام جعل الإسلام الخروج على طاعة الإمام ، ولو جائراً بغياً وظلماً ، وجعل من يفعلون ذلك بغاة مجاوزين الحد ، ويجب قتالهم إذا كانوا في منعة أي شوكة بكثرة أو قوة ، ولهم رئيس مطاع يصدرون عن رأيه ، وقد خرجوا عن قبضة الإمام ، وكان لهم تأويل سائغ من الكتاب أو السنة يستندون إليه ، بل يعتقدون به جواز الخروج ، كتأويل الخارجين من أهل الجمل وصفّين ، على الإمام علي كرّم الله وجهه .

والدليل على وجوب قتلهم ، قول الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * فأصلحوا بينهما * فإن بغت إحداهما على الأخرى * فقاتلوا التي تبغي * حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ ، وليس فيها ذكر الخروج على الإمام صريحاً لكنها تشمله لعمومها أو تقتضيه ، لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة على طائفة كان طلبه من أجل البغي على الإمام أولى ، ويدل على وجوب قتالهم أيضاً ما رواه أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ ، قال : "مَن أتاكم وأمركم جمع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" ، ويتعلق بقتال البغاة أمور وأحكام أخرى .

الرابع : جهاد أهل البدع والأهواء ، وهم الذين لم يخرجوا عن طاعة السلطان ، ولكنهم يتبعون الشهوات ، ويرتكبون الموبقات ، ويعيثون فساداً

في الأمة ، فيزينون للشباب الانحراف ، والخروج عن مكارم الأخلاق ، ويغرون الفتيات حتى يقعن في مهاوى الردى ، وتأتي بثمرات الجريعة تعلن العار والفضيحة .

وهؤلاء يجب جهادهم وزجرهم من كل مؤمن مكلف ليمتنع الضال عن شروره ، ويندفع الخير في سبيله ، ويطهر المجتمع ، ويتهذّب أفراده ، وفي هذا النوع يجاهد كل مكلف على قدر استطاعته ، واستعداده ، وإمكانياته ، كما قال الرسول الحبيب ﷺ : "من رأى منكم منكراً ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛ فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" .

ولا يجوز لمؤمن بالله ورسوله أن يقف على الحياد في معركة الخير والشر ، معركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل عليه أن يكون عضواً عاملاً ، وعنصراً إيجابياً ، فقد قال ﷺ : "لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس ، أن تحسنوا وإن ظلموا أن لا تظلموا" ، وخطب أبو بكر الصديق ﷺ يوماً ، فقال :"يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : "يا أيها الناس ! إنكم تقرءون هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! عليكم أنفسكم * لا يضركم مَن ضلّ إذا اهتديتم ﴾ ، وإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : "إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" هذا هو الجهاد الذي دعا إليه الإسلام ، وحث المسلمين عليه ، لكي يعصموا عرضهم وشرفهم وكرامتهم من الأعداء بحقه .

(والله تعالى أعلى واعلم)

★ ★ ★

دراسات وأبحاث :

نموذج من :

معجم التأويل لألفاظ التنزيل

بقلم : للدكتور عبد الرحمن وار
استاذ ورئيس القسم اللغة العربية بكلية أمر سنغ بكشمير

الحمد لله باعث الرّسل والنبيّين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، المبعوث إلى الأقدمين والآخرين ، أما بعد !

فإن الله تبارك وتعالى أخلد اللغة العربية بالقرآن وأدامها إلى يوم الوقت المعلوم ، بل حتى بعدها ، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ : "إنها يتكلم بها أهل الجنة" رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، و وسّع القرآن دائرة اللغة العربية باستحداث المصطلحات الجديدة الدينية كالصّلاة ، والزكاة ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، والوضوء ، والمؤمن ، والكافر ، والتوحيد ، والشرك ، وبتعريب الألفاظ الأجنبية من لغات أخرى ، لغات الفرس ، والروم ، والحبشة ، والعِبران ، والسِريان ، والنَبط ، والقَبط ، كالجِبت ، والاستبرق ، والقسطاس ، والزنجبيل ، والسِجّيل ، وأبابيل ، وغيرها ، قد صقلها العرب على لسانهم ، وأجروها على أوزانهم ، فصارت بذلك عربية .

وكما وسّع القرآن اللغة العربية بمنح ألفاظها تأويلاتٍ حديثة مع معانيها الأصلية الموضوعة لها ، فتوسّعت اللغة إلى توسّعاً ملحوظاً ، حتى قام الباحثون بترتيب قواميس شتى للقرآن موضّحين معاني الكمات التي استعملها القرآن ، فكتبوا - مثلاً - لِـ "الأرض" ، إنها الجِرم المقابل للسماء ، يعنى المعنى الواحد فقط ، ولكنهم قلّما توجهوا إلى أن الكلمة التي استُعملتْ في التنزيل مراراً استعملتْ في معان عديدة نحو كلمة "الأرض" عينها التي

ورد فيه في أكثر من خمسة وستين وأربع مائة موضع ، وذلك في سبعة عشر معنىً تقريباً ، الذي أولها المفسرون في تفاسيرهم ، فلم يوضع هناك أي معجم يحيط بجميع معاني اللفظ شارحاً ألفاظه شرح المفسرين .

فأحسست بالأمر إحساساً شديداً أن أُرتّب معجما على منهج توضّح فيه كلمات التنزيل لغة باختيار المعاني من اشهر اللغات أولاً ، وتأويلاتها المختلفة من معظم التفاسير عقيبها ، ليستغني الباحث عن المعاجم كلها في فهم الكتاب تماماً ، وأن لا يحتاج إلى تصفّح التفاسير في جني المعاني ، فطالما كنت أفكّر في بدء هذا المشروع العظيم ، ولكن لم أقدر عليه توّاً ، لأن كتب اللغة الشهيرة ، والتفاسير معظمها لم تكن بمتناول اليد ، حتى جمعت بعضها ، وشرعت أُسوّد الأوراق ، ورحت أكتبها على الآلة الكاتبة ، حتى أكملت المجلد الأول ، والثاني : اللذين يحتويان على باب "الألف" ، "والباء" من الكتاب الذي أقدر ضخامته عشرين مجلداً تقريباً ، ومجلد مستقل منها يشتمل على توضيح الأدوات والصِّلات ، ومجلد مستقل على أماكن القرآن وأعلامه .

فأقدّم هنا مادة "ب غ ي "، نموذجاً من المسودة ، بغير أي مراجعة فيها ، إلى أهل العلم - العلماء والباحثين من الأساتيذ والتلاميذ - راجياَ اقتراحاتهم الصالحة الخالصة ، وراجعت في ذلك حضرة الأستاذ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي ، وطلبت منه إشراف هذا المشروع العظيم ، فوافقني في أول الأمر على شروعه تحت إشرافه في ندوة العلماء لكناؤ الهند ، فأشكر وأرجو الخير من جميع الإخوان والخلان ، والله المستعان وعليه التكلان .

★ ب غ ي :

بغَى يبغِي بُغاءً وبغْياً وبغىً وبغْيةً وبِغْيةً الشئ : طلبه ، أبغاه الشئ : جعله طالباً له ، أعانه في طلبه ، يقال : ابغِني ضالتي : أي أعنّي على طلبها ،

إنبغى : تسهل وتيسّر كأنه طلب فعل كذا ، فانطلب له يقال لا ينبغي لك أن تفعل كذا من أفعال المطاوعة : أي لاتيسر ، وابتغي وتبغّى الشئ : طلبه ، قال ساعدة بن جؤيّة الهذلي :

و لكنّما أهلي بواد ، أنيسه
سباع تبغّى الناس مثنى و مَوحداً (١)

والبَغْية والبِغْيَةُ والبُغاء : ما يُرغب فيه ويُطلب ، واستبغى القوم فبغوه : أي طلبوا له ، والباغي : الطالب (ج) بغاة وبُغيان ، وبغيتك الشئ : طلبته لك ، ومنه قول الشاعر :

و كم آمل من ذي غنىً وقراية
لِتبغيه خيراً و ليس بفاعل (٢)

وفي حديث سُراقة والهجرة : انطلقوا بُغياناً أي ناشدين وطالبين (٣) ، جمع باغ كراع ورعيان ، وفي حديث أبي بكر ﷺ ، وفي الهجرة : لقيها رجل بكُراع الغميم ، فقال : مَن أنتم ؟ فقال أبو بكر : باغ وهاد ؛ عرّض ببغاء الإبل ، وهداية الطريق ، وهو يريد طلب الدين ، والهداية من الضلال ، والبُغية : الحاجة نفسها ، قال أبو ذؤيب :

بُغاية إنما تبغي الصحاب من الـ
ـفِتيان في مثله السُّمُّ الأناجيج (٤)

٢- بغَى يبغِي بغياً وبغاءً : عصى ظلم ، تعدي ، عدل عن الحق ، واختال ، ومرح ، واستطال ، وقيل : هو قصد الفساد ، وقيل : أصل البغي : الحسد ، يقال بغى على أخيه بغياً ، وهو في الأصل مجاوزة الحد ، وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشئ بغي ، والبغاوة والبغية :

(١) لسان العرب -لابن منظور .
(٢) تاج العروس -للزبيدي .
(٣) النهاية -لابن الأثير .
(٤) ديوان أبو ذويب .

الخروج عن الطاعة ، والمبتغي : الأسد (١) ، وفي الحديث لعمار : تقتله الفئة الباغية : أي الخارجة عن طاعة الإمام ، وهو التطريب والتمديد ، كما في حديث ابن عمر ، قال الرجل : أنا أبغضك ، قال : لم ، قال : لأنك تبغي في أذانك (٢) .

٣- بغى يبغي بِغاءً وبِغيةً وبِغياً : عصى ، وبغت الأمة : زنت ، وهي بَغِيّ وبَغُوٌّ ، وباغت مباغاة عهرت وزنت (٣) ، وقيل البغِيُّ : الأمة ، فاجرة كانت أو غير فاجرة ، وقيل : حرة كانت أو أمة (ج) بغايا ، قال الأعشى :

يهَب الجِلّة الجَراجِرَ كالبُسْـ
ـتانِ تحْنُو لدَرْدَقٍ أطفالِ
و البغايا يركُضْنَ أكْسِيَة الإضْـ
ـريجِ و الشَّرعَبِيِّ ذا الأذْيالِ (٤)

وجعلوا البِغاء على زنة العيوب كالحِران والشّردان ، لأن الزنا عيب ، والبغيّة نقيض الرشدة في الولد ، يقال : هو ابن بغية ، وأنشد :

لـدى رِشدةٍ من أمِّه أو بَغِيَّةٍ
فيغلبها فحل على النسل ومنْجب

٤- وبغتْ تبغى السماء بغية : اشتد مطرها ، والبغي : المطر الكثير ، قال اللّحياني : دفعنا بغي السماء عنا : أي شدتها ، ومعظم مطرها ، وفي التهذيب دفعنا بغي السماء خلفنا .

٥- وبغَى يبغِي بَغياً الجرح : ورم وفسد وأمد ، والبغي : الفساد ، ويقال : بري جرحه على بغْيٍ : أي اندمل على فساد ، و في حديث أبي سلمة : أقام شهراً يداوي جرحه فدمل على بغي ، ولا يدري به أي على فساد (٥) .

(١) القاموس المحيط .
(٢) النهاية .
(٣) المنجد في اللغة .
(٤) لسان العرب .
(٥) النهاية .

٦- وبغى يبغي بغياً الشئ : نظر إليه ، كيف هو ، وبغاه بغياً رقبه وانتظره عنه أيضاً ، وباغا يباغي ، قالوا : إنك لعالم ، ولا تباغ : أي لا تصب بالعين ، ويقال للمرأة الجميلة : أنت جميله لا تباغي ، ومعناه الدعاء ، يقال : لا يبغي عليه أي لا يحسد ، قال الشاعر :

إما تكَرَّم إن أصبْت كريمةً
فلقد أراك ولا تُباغ لئيماً

٧- والبغِيّة (ج) البغايا : الجيش والطلائع تكون قبل ورود الجيش ، كما أنشد النابغة :

على إثر الأدلّةِ و البغايا
و خفق الناجيات من الشآم

وأنشد طفيل :

فألْوتْ بغَاياهم بنا و تباشرتْ
إلى عُرضِ جيش غير أن لم يُكَتَّبْ (١)

وقال الراغب : البغي : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحري تجاوزه أو لم يتجاوزه ، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكميّة ، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية ، والبغي على حِزبَين : أحدهما : محمود ، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان ، والغرض إلى التطوع ، والثاني : مذموم ، وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشُبَّه ، وقولهم ينبغي مطاوع بغى ، فإذا قيل : ينبغي أن يكون كذا ، فيقال على وجهين : أحدهما : ما يكون مسخّراً للفعل ، نحو : النار ينبغي أن تحرق الثوب ، و الثاني : على معنى الاستئهال ، نحو : فلان ينبغي أن يُعطي لكرمه (٢) .

وفي التنزيل له تأويلات آتية :

١- الحسد : في قوله تعالى : ﴿ ثُمّ بُغي علَيهِ لينصرنه الله ﴾ (٣) ،

(١) لسان العرب . (٢) مفردات القرآن . (٣) الحج/٦٠ .

قال الأزهري في تفسير هذه الآية : البغي هو الحسد ، ونحوه : "بغياً أن ينزل الله من فضله" (١) ، أي حسداً وطلباً لما ليس لهم علمه فاشتروا (٢) ، ونحوه : "بغياً بينهم" (٣) أي حسداً بينهم ، وظلماً لحرصهم على الدنيا ، وقلة إنصاف منهم (٤) ، ونحوه كثير .

٢- الخروج : ذلك قوله تعالى : ﴿ فمَن اضطُرّ غَير باغٍ * ولا عاد * فلا إثم عليه ﴾ (٥) أي الخارج على المسلمين (٦) ، والبغي في الآية الظلم ، والخروج عن الإنصاف (٧) .

٣- الاختلاط : في قوله تعالى : ﴿ بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (٨) أي لا يختلطان ، ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (٩) .

٤- الاختيار : أو السلوك : في قوله تعالى : ﴿ ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً * فلن يُقبل منه ﴾ (١٠) يعني فمن يختار ديناً غير دين الإسلام ، فلن يقبل منه ، وقيل : من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله ، فلن يقبل منه (١١) ، و نحوه : ﴿ و ابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (١٢) أي اختر بين ذلك طريقاً ومسلكاً .

٥- الزنا : قال تعالى : ﴿ ولم أكُ بغيّاً ﴾ (١٣) ، أي زانية (١٤) ، وكما في قوله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ (١٥) أي الزنا (١٦) .

٦- التزوج : أو الاشتراء ، قال تعالى : ﴿ وأُحلّ لكم ما وراء ذلك أن تبتغوا بأموالكم ﴾ (١٧) أي أن تزوجوا إلى الأربع ، ويقال : أن تشتروا

(١) البقرة/٩٠ . (٢) تفسير الكشاف .
(٣) البقرة/٢١٣ . (٤) تفسير الكشاف . (٥) البقرة/١٧٣ .
(٦) تفسير الجلالين.. (٧) التفسير الكبير . (٨) الرحمن/٢٠ .
(٩) تفسير ابن عباس . (١٠) آل عمران/٨٥ . (١١) تفسير ابن كثير .
(١٢) الإسراء/١١٠ . (١٣) مريم/٢٠ . (١٤) تفسير الجلالين .
(١٥) النور/٣٣ . (١٦) تفسير الطبري . (١٧) النساء/٢٤ .

بأموالكم من الإماء (١) ، ونحوه كثير .

٧- التسخر : أو التسهّل ، كقوله تعالى : ﴿ وما علّمناه الشعر * وما ينبغي له ﴾ (٢) ، فإن معناه : لا يتسخر ولا يتسهل له ، ألا تري أن لسانه ﷺ لم يكن يجري به ، فينشد الأشعار منكسراً (٣) ، ونحوه كثير .

٨- الإشتهاء : قال تعالى : ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار * وابتغاؤكم من فضله ﴾ (٤) أي اشتهاؤكم للرزق ، ولما قال المنام الذي يحتاج إليه كان مناسباً أن يكون معنى الابتغاء : الاشتهاء إلى الطعام ما يحتاج إليه الإنسان .

٩- الطغيان : قال تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لَبَغوا في الأرض (٥) أي طغوا جميعهم (٦) ، وقال ابن كثير : أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان (٧) ، ونحوه كثير .

١٠- الطلب : ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ (٨) أي نطلبه ، فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (٩) ، ونحوه : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ (١٠) أي أطلب ما أعطاك الله بالمال الجنة (١١) ، ونحوه كثير .

١١- الظلم : أو التعدي : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي * هم ينتصرون ﴾ (١٢) ، عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي (١٣) أي

(١) تفسير ابن عباس .
(٢) ياسين/٦٩ .
(٣) مفردات القرآن .
(٤) الروم/٢٣ .
(٥) الشورى/٢٧ .
(٦) تفسير الجلالين .
(٧) تفسير ابن كثير .
(٨) الكهف/٦٤ .
(٩) تفسير الكشاف .
(١٠) القصص/٧٧ .
(١١) تفسير ابن عباس .
(١٢) الشورى/٣٩ .
(١٣) تفسير البيضاوي .

فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم أو اعتدي عليهم (١) ، ونحوه : ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى ﴾ (٢) أي ظلمت واعتدت (٣) ، ونحوه كثير .

١٢- العبادة : قال تعالى : ﴿ قل : أغير الله أبغى ربًّا ﴾ (٤) أي أعبد رباً (٥) ، ونحوه : ﴿ أفغير الله ابتغى حكماً ﴾ (٦) أي أعبد له وأطلب حكمه ، ونحوه كثير .

١٣- المعصية ؛ أو الضرر : قال تعالى : ﴿ فلما أنجاهم * إذا هم يبغون في الأرض ﴾ (٧) يعني يعصون (٨) ، ونحوه في الآية : ﴿ إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ أي معصيتها وضررها عليكم .

١٤- العمل ؛ أو السعي : قال تعالى : ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ (٩) أي لا تعمل الفساد (١٠) ، ونحوه : يبغون في الأرض بغير الحق (١١) أي يعملون الشرك ، ونحوه كثير .

١٥- الكبر ؛ أو الاستطالة : قال تعالى : ﴿ والإثم والبغي ﴾ (١٢) ، قال الأزهري : معناه الكبر ، وقال الفرّاء : الاستطاله على الناس (١٣) ،

(١) تفسير ابن كثير .
(٢) الحجرات/٩ .
(٣) قاموس القرآن .
(٤) الأنعام/١٦٤ .
(٥) تفسير ابن عباس .
(٦) الأنعام/١١٤ .
(٧) يونس/٢٣ .
(٨) قاموس القرآن .
(٩) القصص/٧٧ .
(١٠) تفسير ابن عباس .
(١١) يونس/٢٣ .
(١٢) الأعراف/٣٣ .
(١٣) لسان العرب .

ونحوه : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى * فبغى عليهم (١) بالكبر والعلو وكثرة المال" (٢) .

١٦- الكذب : قال تعالى : ﴿قالوا : يا أبانا ! ما نبغي ﴾ (٣) أي ما نكذب بما قلنا من إحسان الرجل ولطفه بنا (٤) .

١٧- الاكتساب : في قوله تعالى : ﴿ و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً ﴾ (٥) أي لتكتسبوا الرزق (٦) ، ونحوه : ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ (٧) أي اكتسبوه في الأرض .

١٨- اللياقة : في قوله تعالى : ﴿ و ما ينبغي للرّحمن أن يتخذ ولداً ﴾ (٨) أي ما يليق به ذلك (٩) ، ونحوه كثير .

١٩- التولي : قال تعالى : ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ (١٠) ، بالياء والتاء أي المتولون (١١) .

★★★

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

★★★

(١) القصص/٧٦ .
(٢) تفسير الرازي .
(٣) يوسف/٦٥ .
(٤) تفسير ابن عباس .
(٥) الإسراء/١٢ .
(٦) تفسير الجلالين .
(٧) الجمعة/١٠ .
(٨) مريم/٩٢ .
(٩) تفسير الكشاف .
(١٠) آل عمران/٨٣ .
(١١) تفسير الجلالين ، وتفسير ابن عباس ﷺ .

في الفقه والأدب :

حول إشكاليات النقد التطبيقي لدى أدباء "الإسلامية"

بقلم : أ.د/عماد الدين خليل

يُعدّ النقد التطبيقي إحدى الحلقات الضعيفة في معطيات الأدب الإسلامي المعاصر ، فهو - من جهة - لا يمارس تغطية شاملة للأنشطة الإبداعية في جلّ سياقاتها ، بل إنه لا يغطي سوى نسبة محدودة منها ، وهو - من جهة أخرى - يعاني من جملة من المآخذ يتحتمّ تشخيصها من أجل أن يمضي الجهد النقدي بأقل قدر ممكن من القصور والعثرات والأخطاء .

وأول ما يلحظه المتابع لهذا النقد ميله صوب (المضمونية) ، وعدم إعطائه اهتماماً كافياً للقيم الفنية بمفرداتها كافة ، إن معظم نقادنا ، وهم يتعاملون مع هذه القصيدة أو القصة أو الرواية أو المسرحية .. إلخ ، يقفون عند المضامين ، ولا يمنحون الخصائص الفنية والجمالية سوى هامش محدود ، بل إنهم -أحياناً- يبخلون على القارئ حتى بهذا الهامش المحدود ، حيث ينصرف عملهم كلّية إلى المضمون في محاولة فجّة - أحياناً - لاعتماد معيارية صارمة يصير فيها الناقد حكماً يتولى إحالة المفردات على القيم والموازين الإسلامية الأصيلة في هذا الجانب من الخبرة أو ذاك .

إن التوازن في الجهد النقدي وتوزيعه العادل على جانبي المعطى الإبداعي ضروري ، ليس فقط للتحقّق بالمطالب المنهجية ، ولكنه ضروري على مستوى الموضوع حيث يتعاشق المبنى بالمعنى ، ويصير الحديث عن أحدهما دون الآخر مسألة مستميلة ، أو عملاً فجاً ، قد لا يعطي سوى

جانب محدود من الصورة .

قد يكون السبب البحث عما هو سهل ميسّر في الجهد النقدي ، إذ أن معالجة المضامين ، وإصدار الأحكام المعيارية على مفرداتها ، أكثر سهولة بكثير من محاولة اكتشاف القيم الفنية ، ومتابعة طبيعة ارتباطها بالمعاني ، وبالمغزى النهائي للعمل الإبداعي ، وتلك مسألة كان قد انتبه إليها نقادنا القدامى ، وبلغت أقصى درجات نضجها على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابيه : (دلائل الإعجاز) ، و (أسرار البلاغة) حيث يصوغ الرجل لأول مرة (نظرية النظم) التي تعد اليوم مفتاحاً للتعامل النقدي الجاد مع النصّ .

إن على نقادنا أن يتدربوا أكثر على التعامل مع البنى الفنية للمعطى الإبداعي .. أن يمرّنوا أيديهم ، وعقولهم على اكتشاف القيم الجمالية ، والتأثير على طبيعة ارتباطها بالمعاني والمضامين ، وإلا فإننا بهذه الرؤية العوراء التي تنظر بعين واحدة سوف لا نقدم إلا جهداً أعرج قد لا يضيئ النصّ ، وقد يدفع الآخرين من خارج دائرة الإسلامية إلى مزيد من إنكار ظاهرة الأدب الإسلامي ، وربما إعلان الحرب عليها .

لقد تجاوز المنظور النقدي لمسألة الشكل والمعنى لدى الآخرين هذه الثنائية منذ زمن بعيد بإعتبار العمل الإبداعي ليس خطاباً تقريرياً ، أو جهداً تسجيلياً ، أو بحثاً في التاريخ ، أو نقلاً مباشراً للوقائع والخبرات ، وإنما هو خطاب مشحون بالقيم الفنية والجمالية ، متزاح عن الدلالات اليومية للكلمات والتعابير ، وإلا ما أصبح أدباً ، ومع أننا قد نجد هذا التلاحم مؤكداً في معطياتنا التراثية ، وإلا أصبح الأدب ، كما يقول الجاحظ : "كلمات ملقاة على قارعة الطريق" ، وغير الجاحظ جملة من نقادنا القدامى أكدوا تلاحم الشكل والمضمون كإبن قتيبة ، والقرطاجني ، وابن سلام ، بل

إن بعضهم لم يفصل أساساً بين طرفي الإبداع كابن رشيق ، وضياء الدين ابن الأثير ، والجرجاني ، مع هذا وذاك فإن العديد من نقادنا لا يزال يتثبت بفك الارتباط بين القطبين ، لكي يمنح لنفسه الحرية بالجنوح صوب أحدهما.

إن الفاعلية الإبداعية لا تتألّق إلا بسلسلة من الكنايات والاستعارات والمجازات ، تبتعد بالمعنى عن دلالاته الاعتيادية في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضاً خفاقاً ، وألفاً مدهشاً ، ولكن شرط أن يتم هذا كله وفق منظومة من الضوابط البيانية ، والنحوية ، واللغوية ، وفي ضوء قواعد ومرتكزات وثوابت متفق عليها من المعطيات النفسية والاجتماعية والجمالية ، والثقافية في نهاية الأمر، من أجل أن يتحقق التواصل في الخطاب بين المبدع والمتلقي ، ولا يغدو تسيّباً وانفلاتاً .

ومعروف أن الظاهرة الأدبية لن تحقق وظيفتها في الخطاب الإبداعي ما لم تتحقق باثنين : المضمون والشكل ، أو الفكر والفن ، والأدب الإسلامي في بنيته التعبيرية ، هو كأي أدب في العالم لابد أن ينطوي على الجانبين معاً ، ولعل الضرورات التاريخية للخطاب الأدبي الإسلامي تكمن وراء إلحاح العديد من الدراسين ، والأدباء والنقاد ، سواء في تجاوز المطالب الحِرَفية ، أو التساهل معها في الأقل لصالح المضمون ، لكن هذا لا يبرّر الاستمرار على الخطأ ، ولا بد أن يفيئ نقاد الإسلامية كافة إلى الميزان إذا أرادوا أن يكون جهدهم مجدياً ، فضلاً عن أن يأخذ طريقه إلى الإنسان والعالم ، ويحتل موقعه المناسب في المعطيات النقدية المعاصرة .

هنالك أيضاً خطيئة عدم الاستهداء بالثوابت والمؤثرات الفقهية ، أو التشنّج عليها .

إن نقادنا - في معظمهم - ينحازون ، وهم يمارسون جهدهم النقدي ،

صوب هذا الجانب أو ذاك ، فهم بين متفلّت من الضوابط الفقهية بسبب من جهلهم بها ، أو اعتقادهم الخاطئ بأنها عاجزة عن الإجابة على العديد من المسائل الإبداعية ، وأن لهم - في ضوء ذلك - أن يقولوا ما يشاءون بعيداً عما يسمّونه هم : (رقابة الفقيه) ، وبين منفّذ حرفي للمقولات الفقهية بصدد المسألة الإبداعية أو الجمالية ، الأمر الذي قد يدفعه إلى أن يرمي بثقله صوب (المضمون) في محاولة لإحالة مفرادته على المعايير الفقهية لقبول ما يمكن قبوله ، ورفض ما لا يسمح له بالدخول .

والفقه الإسلامي - إذا أردنا الحق - ونحن نتحدث عن زمن الإبداع الحضاري ، وليس زمن الانكسار ، والشلل ، والجمود ، مدرسة كبيرة ، لا لتخريج أصحاب الفتاوى فحسب ، ولكن العلماء والموسوعيين الكبار الذين كانوا يقودون الحياة الإسلامية ، ويصوغونها في الوقت نفسه ، والذين كانت لهم رؤيتهم ذات الفضاء الواسع ، والعمق الثقافي الموغل في كل صغيرة وكبيرة ، بما في ذلك قضايا الإبداع والجمال ، ويكفي أن نتذكر الشافعي (الشاعر) ، وابن حزم (الناقد) ، وابن خلدون (المنظّر) ، لكي نعرف كيف يكون اللقاء الحميم بين الفقه والإبداع ، حيث يقبل أحدهما الآخر ولا ينفيه ، كما يحدث في عصور التخلّف والإحباط .

إن على نقادنا ألا تضلّلهم الحالة الراهنة للنشاط الفقهي زمن الانكسار الحضاري ، وقد تجرّ بعضهم - أحياناً - إلى إجراء مقارنة من نوع ما بين ما يجري في ساحاتنا وما شهدته ، وتشهده الاكليروسية النصرانية التي مارست التحليل والتحريم فيما لم يأذن به الله سبحانه .

إن التعامل النقدي مع النصّي يتحتّم أن يحاذر عن إحدى اثنتين : الالتصاق الحرفي بالدليل الفقهي ، أو نفيه من الحساب .. لأننا في الحالة الأولى قد نوقف الإبداع عن تدفّقه ، وغنائه المشروع القادم من رحم كتاب

الله ذي الجماليات والأسرار ، ولأننا في الحالة الثانية سنتعامل مع النصّي برؤية وآليات ومعايير ، قد لايكون لها من الإسلام إلا الاسم أو الشعار .. وقد يدفعنا هذا إلى تقبّل أجسام وقيم غريبة عن نسيج هذا الدين ، أو - ربما - متناقضة - مع ثوابته وبداهاته ، وبذلك يصير الجهد النقدي ابحاراً ضد "الذات" لا تأكيداً لها .

لقد وُضع الطرفان - نتيجة قناعات أو ممارسات خاطئة - في حالة تضادّ، رغم أنهما - ابتداء - متوافقان يرشّد أحدهما الآخر ، ويضع إشارات المرورفي دروبه ومسالكه ، كي لا يضلّ الطريق ، ويخرج - بزاوية ضئيلة أو منفرجة - عن رؤيته ونبضه وخصائصه الإسلامية ، ويضع ثانيهما التحديات والأقضية الجمالية والإبداعية قبالة الآخر ، فيدفعه إلى المزيد من الكدح الذهني لإيجاد الاستجابات المناسبة في ضوء الضوابط الشرعية ، والمقاصد العليا .

إن الطرفين يستمدان من نبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واجتهادات الأجداد والآباء ، وكلاهما يحرص على أن يؤدي وظيفة "الاجتهادية" أو "الإبداعية" في ضوء تصوّرات هذا الدين ، ومقوّماته الأساسية ، هذا يتساءل وذاك يجيب .. هذا يبدع وذاك يرشّد الإبداع من أجل ألا يخرج عن جلده وبصماته الإسلامية ، ومن أجل أن يمنح الأديب المزيد من المساحات التعبيرية "المشروعة" التي يمكن أن يتحرك خلالها ، ويغزل من خيوطها خبراته وأعماله..

ومن أجل أن يكون المرء مثقفاً لابد من التأثير على جملة عوامل مارست دورها السّيئ في حفر الخنادق بين الطرفين ، وجعل "القطيعة" بينهما تكاد تكون القاعدة التي لا تزعزعها الاستثناءات .

و من بين هذه العوامل أن الفقيه - عبر قرون الفصام النكد بين

الدين والدنيا - انسحب من الحياة ، بعد أن كان يقودها ، ويصنعها ، وبمرور الوقت لم يعد أحد يرجع إليه ، لكي يستفتيه - اللهم إلا في الأحوال الشخصية - ولم يعد هو راغباً أو قادراً على تقديم الجواب المطلوب ، فإذا كان في الأمور الحيوية الأكثر إلحاحاً لا يمارس حضوره ، فكيف بالنسبة لما يمكن اعتباره من المسائل الكمالية ، أو - ربما - الثانوية كالجمال والإبداع ؟

ونقّادنا من جهتهم - وبسبب من عجز بعضهم وقصوره ، وتضحّل معارفه الشرعية - وجدوا في انسحاب الفقيه ، أو سلبيّته ، فرصه ملائمة للمضيّ في الطريق منفردين ، واستسلموا لنوع من الكسل العقلي الذي يغريهم بإجتهاد سريع للرأي بخصوص العديد من المسائل الجمالية والإبداعية ، دون أن يدركوا أن موقفهم هذا قد يعودهم إلى ما لا تحمد عقباه ، وما قد يمثل ارتطاماً بالمطالب الفقهية ابتداء ، وليس أدلّ على ذلك من اضطراب الرأي في الحلقات الإسلامية بخصوص ظهور المرأة على المسرح ، فمن قائل بالتحريم ، ومن قائل بالتحليل دون أن يكلف هؤلاء وهؤلاء أنفسهم باستدعاء الفقيه .

وغير هذه المسألة جملة من التحديات تحتم عودة اللقاء بين الناقد والفقيه ، لكي يخرج الطرفان بما يحمي الشخصية الإسلامية للأدب من التضحّل أو التناقض ، وبما يمنح الناقد نفسه الفرصة لتأصيل جهده ، وجعله أكثر قدرة على التميّز .

إن أساس المشكلة يكمن في أن الفقيه لم يعد يأبه لمطالب المعرفة الإنسانية في سياقاتها كافة ، بما في ذلك الآداب والفنون ، التي قد يراها أمراً ثانوياً غير ذي قيمة ، لقد وضع نفسه - مختاراً - في دائرة المعرفة الشرعية ، وأوصد دونها الأبواب ، فانعزل بذلك عن تيارات العصر الصاخبة ، وتحدّياتها التي لا تكف عن التجدّد والاضطراب ، ولم يعد

- بالتالي - يملك القدرة على تنزيل المقصود الشرعي على الواقع ، وتقديم الاستجابات المناسبة لتحدياته المتجددة .

إن الالتحام بالعصر لن يتحقق إلا بتجاوز الفقيه عزلة الثمانمائة عام - إذا صحّ التعبير - ، لكي يطل على معارف العصر ، ويوغل في شرايينها من أجل أن يكون حاضراً في صميم اللحظة التاريخية ، قديراً على الإجابة المناسبة في اللحظة المناسبة ، على كل سؤال ، بما في ذلك الأسئلة الملحّة في دائرتي الجمال والإبداع .

من جهتهم لم يكلف نقاد الإسلامية - اللهم إلا قلة منهم لا تكاد ترى على الخارطة - أنفسهم للتزوّد بالمعرفة الشرعية الضرورية - ولو في حدودها الدنيا - لحماية مشاطهم من التسيّب أو الترهّل على حساب التصورات الأساسية لهذا الدين .

ولعل العامل الأكثر إلحاحاً من العاملين آنفي الذكر ، يتمثل في غياب المرجعية العليا التي تأخذ بين الطرفين ، وتعيد إليهما حالة الوفاق الضائع ، فتدفع الفقيه إلى أن يكون أكثر حضوراً في صميم الجهد النقدي ، وتقنع الناقد بضرورة الرجوع إلى الفقيه ، حيثما حزب عليه الأمر ، واضطربت مسالك الطريق .

هنالك أيضاً عدم اعتماد موقف محدّد ، و واضح من معطيات النقد الحداثي في اتجاهاته كافة ، موقف يتميز بالصرامة والمرونة في الوقت نفسه .. الصرامة في سبرغور الخلفيات الفكرية ، والابستمولوجية للمنظور النقدي ، والتأثير على حلقات السوء فيها من أجل عدم السماح لها بالمرور عبر شبكة المعطى النقدي الإسلامي ، تلك الحلقات التي تتناقض ابتداء مع الموقف الديني عموماً ، والإسلامي على وجه الخصوص ، وبالمقابل فإن على الناقد المسلم أن يتميز بقدر من المرونة ، والانفتاح فيما يتيح له الإفادة

من الجوانب الإيجابية في بنية النقد الحداثي ، وفيما يعينه على تحقيق مقاربة أكثر علمية للنصّ ، وإيغالاً في نسيجه .

إن على الناقد المسلم أن يضع جانبي الصورة ، أو الحالة الحداثية ، قبالته تماماً ، فإن إلحاح النقد الحداثي على الالتصاق بالنصّ حيناً ، أو الإذعان لسلطة المنهج حيناً آخر ، وبسبب من اختراق الخلفيات الأيديولوجية ، والمؤثرات الفلسفية للجهد النقدي ، حيناً ثالثاً ، فإن المعطيات النقدية عبر ربع القرن الأخير ، على ما قدمته من تشوف ذات قيمة بالغة لا يماري فيها أحد ، فإنها أخذت تعاني - في الوقت نفسه - من جملة من المآزق تبدو ، ليس فقط في الطرق الضيّقة ، وربما المسدودة ، التي آلت إليها ، وإنما في نفي بعضها بعضاً ، في سلسلة من الأفعال وردود الأفعال التي فادت إلى ما وراء البنيوية ، وإلى التفكيكية بكل ما تنطوي عليه من نزوع نحو خلخلة الثوابت ، وربما استدعاء ما سبق وإن وصف به السرياليون من أنهم يتحركون في دهاليز "الجنون والدجنّة" .

وإزاء ذلك فإنه مطلوب من الناقد المسلم أن يكون على بيّنة من الأمر ، وأن يصدر في موقفه من معطيات النقد الحداثي ، وفق المعايير نفسها التي وقفها الأسلاف من الموروث المعرفي للأمم الأخرى : تقبّل الحلقات الصالحة ، ورفض ، أو تعديل ما سوى ذلك .

إن النقد الحداثي في بعض حلقاته ينطوي على كشوف في غاية القيمة ، كما أنه - مرة أخرى - ينذر بخلخلة الثوابت الإنسانية واقتلاع جذور الخير في مسيرة الحضارات البشرية ، وإن على الناقد المسلم أن يحدّد موقفه من المسألة كلّها .. وأغلب الظن أن هذا الهدف لم يتحقق لحدّ الآن ، إذ لا يزال الجدل على أشدّه بين فئتين من نقاد الإسلامية تحاول كل منهما أن تذهب إلى المدى في قبول الحداثة أو رفضها وإعلان الحرب عليها،

وكأن ليس هناك موقف وسط قد يسمح للفريقين بأن يلتقيا ويحدّدا ما يمكن أن يعين الجهد النقدي الإسلامي على المزيد من الانضباط والتأصيل في الوقت نفسه .

إن تيار الحداثة في سياقيه النقدي والإبداعي سلاح ذو حدّين ، فهو قد يمنحنا أدوات عمل جديدة في الممارسة النقدية ، تكشف وتحدّد وتضيئ وتتجاوز بالناقد حافات "الذاتية" التي مارست لزمن طويل إصدار أحكامها الارتجالية ، وفرضت ميولها وذوقها الخاص على النصّي بنوع من المصادرة التي تبعد بالنشاط النقدي عن موضوعيّته المرجوة ، ولكن هذا هو أحد جانبي الصورة ، وثمة الجانب الآخر الذي يقود إليه إلحاح العقل الغربي على تجاوز الثوابت والنزوع إلى التحوّل والتغيّر ، ليس في دائرة الأدب فحسب ، دائماً في جلّ سياقات الفكر والحياة .

والضحية في معظم الأحيان هو القارئ الذي لا يكاد يجد موطئ قدم يقف عليه ، وهو يتعامل مع "الوسيط" النقدي للنصّى ذلك أن مذاهب النقد الحداثي وتنظيراته أخذت تضيّق الخناق على القارئ ، وتعزله عن النصّى الإبداعي ، لكي تستأثر بالتأويل والتفسير ، كل وفق منهجه ورؤيته ، ولم يعد من حق القارئ أن يمارس التجوال الحرّ عبر النصّى بعيداً عن رقابة النقد وإثرته ، ذلك الذي بلغ في أكثر النظريات حداثة كالبنيوية ، والسيميائية ، والتفسير ، والانزياحي ، والتفكيكية ، وباسم المنهج العلمي في النقد ، حد إرغام النصّ على قبول مقولات المشرحة والمختبر .

إن الاتجاهات الحديثة تلحّ في تحميل النصّى دلالياً ، أو تشريحه بصيغة مختبرية صارمة لا وجدان فيها ، الأمر الذي قد يشير احتمال الانقلاب عليها باتجاه النقد الذاتي الانطباعي الحرّ ، كرة أخرى ، وتلك هي مأساة أحادية الرؤية لدى الغربيين ، ليس في مجال النقد فقط ، و إنما في

سائر الأنشطة والكشوف التي شهدتها دائرة العلوم والإنسانية .

والأولى ، كما يتبادر للوهلة الأولى ، تحقيق قدر من التوازن بين الموضوع والذات ، بين القانون والحرّية ، بين العلم والذوق ، بين التشريح و الرؤية الشمولية ، ما دام الأمر ينصبّ على المعطى الإبداعي الذي يصعب ، بل يستحيل ، إدخاله من عنق زجاجة العلم أو القانون أو المعادلة الرياضية ، وبدون التحقق لهذا التوازن ، فقد يخشى من حدوث ردّ الفعل المتوقع ، بل المؤكد ، لأن المسألة ببساطة ، هي أن قراء النقد ، وجماهير الأدب يريدون أن يقرأوا شيئاً ممتعاً ومجدياً في الوقت نفسه ، شيئاً يفسّر لهم النصّي ، ويضعهم فيه كذلك ، أي يجعلهم ينفعلون به ، ويتأثرون ويدركون ، بلمسة التعامل المشترك بين الناقد والمبدع والقارئ ، الملامح الجمالية للنصّي وقيمه التعبيرية .

إن كل حركة نقدية تطلع في الغرب تمثل ولا ريب كشفاً ذا قيمة وإضاءة جديدة تخدم الأنشطة النقدية من أجل التحقق بإيغال أعمق ، وأكثر انضباطاً في شرايين النصّي ، هذا أمر يكاد يكون متفقاً عليه ، لكن محاولات العقل الغربي المعهودة والمكرورة التي تأخذ بخناق المنهج الغربي في حقول الإنسانيات ، هي سعيٌ لمطّ الاكتشاف ، لكي يفسّر أكبر قدر من الحقائق سواء في حقله الخاص ، أو حتى في الحقول الأبعد نسبياً عن تخصّصه ؛ فيقع في الخطأ ، بل إنه كثيراً ما يسعى إلى الاستئثار بالحقل الذي يتعامل معه ويرفض أية إضاءة قد تجيئ من رؤية مغايرة أو منهج آخر على الرغم من أنها قد تكون تفسيراً تكميلياً ربما يعين الدارس على فهم أعمق وأكثر شمولاً لما بين يديه .

إن التعميم والرؤية الأحادية التي تتجاوز إضاءات الغير ، وكشوف الآخرين ، هما اللذان يجعلان معظم الحركات الغربية في ميدان الإنسانيات تسقط في نهاية الأمر في مستنقع الإدعاء بالقدرة على فعل

المستحيل ، والمستحيل ها هنا هو تحويل الكشف الجزئي إلى عقيدة شمولية تعطى جواباً عن كل سؤال ، وهذه مسألة تكاد تكون مستعصية ، وكثيراً ما قادت إلى نتائج خاطئة أو مهزوزة انتهت بسقوط الكشف نفسه ، أو تهافته ، وفقدان الثقة بمصداقيته ، كما حدث مع الفرويدية والوجودية والماركسية ، وغيرها ، وصولاً إلى البنوية التي أخذت منذ الستينيات تتلقى ضربات قاسية ، والتي سعت بخلفياتها الفلسفية إلى قتل الإنسان ، إذا استخدمنا عبارة المفكر الفرنسي رجاء غارودي ، والتي لم تجاوزها بعد سلسلة من الأفعال ، و ردود الأفعال في العديد من بلدان الغرب .

على أية حال فإن الناقد المسلم ، وهو يتعامل مع نظريات ، وكشوف ومذاهب كهذه يمكن أن يلاحظ ، كيف أن بعض محاولات الحداثة النقدية ، كالانزياحية مثلاً ، لا ترتبط بأية رؤية أو منظور ذي طابع عقدي ، وإنما هي تقنيات منهجية صرفة تضع أدواتها في خدمة النصّي بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته على التحليل والتفسير ، بينما تنسج محاولات أخرى ، كالبنيوية والتفكيكية ، مثلاً حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ، و وضعه في العالم ، وقد يصل بها الأمر إلى حافات العقائدية ، ومن خلال هذا الفارق بين النمطين يتأتى للناقد المسلم أن يفيد ما وسعه الجهد من الحالة الأولى ذات الطابع الحرفي الجزئي الذي يتحاشى الشمولية والأيديولوجية ، وأن يكون حذراً من الحالة الثانية على الرغم من أن حذره من الخلفيات يجب إلا يصدّه عن المضى للإفادة من الجوانب الحرفية الصرفة للمحاولة .

والمهم هو تجاوز الوقوع في أحد أمرين : التقبل الكامل لمعطيات الحداثة بدافع الإعجاب والتزام "العلمية" في العمل النقدي ، أو الرفض الكامل لها بحجة ارتباطها بخلفيات قد ترتطم في مفرداتها ، أو بعضها ، مع المنظور الإسلامي للكون ، والعالم ، والإنسان ، ولطبيعة النشاط النقدي . [للبحث صلة]

نحو تربية الأطفال :

قابل طفلك

بقلم : الأستاذ أنيس جشتي(بونا)
ترجمة : الأخ يوسف عظيم الصديقي

★ الأطفال في منتهى الدرجة من الشقاوة :

حلت روح جده العجوز في جسم هذا الصغير .

يُشبه أباه تماماً ...

أنظر إلى أصبعه : فهي مثل : أصابع خاله .

عند ما يكبر سيكون مدعاة للشرف والوقار لكافة العائلة .

نسمع هذه الجملُ وما شابهها من الجمل في بيوت أغلب الناس .

★ أما خارج البيوت فتسمع جمل بخصوص الأطفال :

★ الطفل : هو الإنسان غير المكتمل .

★ الطفل : هو الرجل الذي لم يبلغ .

★ الطفل : هو الصورة المصغرة للإنسان .

★ الطفل : هو المرحلة الابتدائية للإنسان .

★ الطفل : هو الإنسان الكامل .

★ الطفل : هو الطور الابتدائي للإنسان .

★ الأطفال : هم أمناء وحفاظ النسل البشري .

★ الأطفال : يأتون إلى هذه الدنيا ، واكتافهم محمولة بأثقال الوراثة البشرية

★ الأطفال : هم مستقبل الأمة .

ليس من الضروري أن تكون كافة هذه الجمل صحيحة مائة في مائة ، وليس من الضروري أن تكون مجانبة للصواب .

هذه الفتاوى بخصوص الأطفال ، هي تلك الفتاوى التي أُعلنتْ وأُعتمدت من غير استشارة الأطفال في ذلك .

الطفل يولد على الفطرة ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف .

فهم يأتون إلى هذه الفانية ، وأجسامهم تحمل القلب الخفاق ، والذهن الوقاد .

فالميزات والصفات المختفية عن الأنظار ، والتي تتصف بها أدمغتهم وعقولهم وقلوبهم تدعى بالصفات الموهوبة ، ولا نريد تشتيت ذهن القارئ بمناقشة الأبحاث المختصة بالصفات الموهوبة .

فعلى سبيل المثال إذا ذهبنا إلى السوق ، واشترينا دواءً بسيط التركيب ، أو آلة سهلة الاستعمال ، ففي أول الأمر نقرأ ونطلع على الإرشادات المرفقة بها .

أليس ذلك مدعاة للتأسف والعجب أن المرء المنهمك في شئون الأطفال ، والذي أكبر همّه ، هي مناقشة وبحث قضايا الأطفال .. لا يعلم أيّ شئ عن الأطفال ، ولا يحاول أن يتعرف عليهم .

القليلون الذين يعلمون أن مجال المواصلات يشغل الحيز الأكبر في الصناعات العالمية ، فمن صناعة الدراجات البسيطة المستخدمة من قبل الأطفال إلى صناعة الكونكورد ، والجمبو ، والصواريخ ، والمكوك الفضائي ، كافة هذه الصناعات تدخل في نطاق مجال المواصلات .

الصناعة التي تلي المواصلات ، هي صناعة مستلزمات الأطفال .

فمن صناعة الحلوى والشوكولات إلى طلب المندسة ، ومن خياطة اللباس ، وصناعة الأحذية إلى صناعة الألعاب ، كافة هذه الصناعات وجدت مكانتها في الوجود بسبب هؤلآء الأطفال ، سيطرة ونفوذ هؤلآء الأطفال لا ينحصر في هذا النطاق ، بل يتعدى إلى الأدوات المستخدمة من قبل آبائهم وكبارهم - سناً - عدا بعض الأشياء - وعلى العكس - من ذلك نجد الكبار لا

يستطيعون أن يستخدموا سوى شئ واحد أو اثنين من أدوات الأطفال .

نزولاً على رغبة الأحفاد يترفه الجد بألعاب أبناء الأبناء - وبغياب الآخرين يستطيع الجد المريض أن يأكل الحلوى والشوكولات ، ولكن هؤلاء الأجداد لا يستطيعون أن يرتدوا أحذيتهم وملابسهم - أما الطفل فهو الذي يستطيع أن يلعب بعصا جده ، ويرتدي نظارة جدته ، وحذاء والده .

عند ما يولد الطفل فلا نحتاج إلى بعثه إلى مدرسة ، لكي يتعلم كيفية الرضاع .

عند ما وضعتْ السيدة حواء عليها السلام أول مخلوق على الكرة الأرضية ، فكان الدرس الذي تلقاه ذلك الطفل من قبل الفطرة ، لا نحتاج إلى إعادته حينما يولد طفل في كل ثانية في أرجاء الكرة الأرضية .

يأتي الطفل في هذه الدنيا وصفة الجوع ملزمة لذاته ، يقال : إن الأطفال ينامون خمساً وعشرين ساعة يومياً ، وهذه الساعات الطوال ، هي الساعات التي يتم فيها نمو الجهاز الهضمي ، والخلايا العصبية ، والعضلات البدنية ، عندما يكتمل نومه يحرك أرجله وأذرعه ، فهذا يؤدي دور السير الصباحي ، وسعيه من أجل الرزق .

يحتاج الطفل إلى جانب الغذاء نحو اهتمام عال وعناية فائقة ، هذه العناية ، وذلك الاهتمام يسميان بالحب ، وهذه المحبة توجد على أقصى درجاتها في الله سبحانه وتعالى تجاه مخلوقاته ، ومن ثم النبي الكريم ﷺ ، ومن ثم الأم ، ومن ثم الأب .

وبعدها تتدرج حسب اختلاف القرابة ، والروابط الأسرية .

تكون محبة مربيات الأطفال أو المهتمات بشئونهم المنزلية والدراسية أو غيرهن من الخادمات ، تكون تلك المحبة تجاه الأطفال على المستوى السطحي ، و وجود الإخلاص في تلك المحبة ، هي حالة شاذة لا تنطبق على الوضع أو الحالات بأكملها .

فعلى الآباء الذين يريدون تنشئة وتربية أبنائهم في غرف ومساكن المدرسة تحت رعاية وإشراف المسئولين والمدراء ، فعليهم أن يقرروا بين الحصول على أبناء يجيدون آداب الثقافة الغربية والأوربية ، أو بين أبناء تتفجر في قلوبهم بذور المحبة و الإخاء ، و تتلألأ بهم مسرح الإنسانية اخضراراً وبهجةً .

يحتاج الوليد الطفل إلى محبة والديه ما بين السادس إلى الثاني عشر من عمره وبعد انقضاء هذه المدة لا يبقى الطفل طفلاً ، بل يحاول أن ينضم إلى مجموعة الآباء والأمهات .

يحتاج الطفل إلى عطف وحنان والديه ، عند ما تكتمل أيام الرضاعة - بعد مرور سنتين ونصف من عمره - عند ما يبدأ الطفل المشي على الأقدام ، أو تناول قطعة من الخبز ، أو يبدأ في أداء الألفاظ لتكوين جمل تحمل المعاني ، أو عند ما يرى ما حوله من العالم منبهراً بما فيه من مظاهر القدرة .

في مرحلة الرضاعة يكون الأطفال أنعم وأرقّ من الزهور ، فتكون عضلاتهم ضعيفةً إلى درجة أنهم لا يستطيعون تحريكها على الوجه التام أو القيام بأبدانهم أو تعديل رقابهم ، فهم يحتاجون إلى ما يَشد أزرهم في كل الأحيان والمواضع .

نجد في أغلب الأحيان أن الأطفال مستقلون على ظهورهم ، ولكن لا نعتبرهم مرضى ، فوضعهم هذا أيضاً من النعم العِظام .

فعملية تدفق المواد الغذائية والأوكسجين - إلى جانب الدم - إلى الجهاز العصبي تتم على الوجه الأحسن إذا بقي الأطفال على هذا الوضع .

ولا يعني هذا أن نتركهم على هذه الحال ، بل ينبغي رفعهم ومعانقتهم ، وأخذهم في الأحضان بعد وقفات يسيرة .

هذه المرحلة من العمر تكون المرحلة الأسرع والأنشط من حيث نمو

الطفل بدنياً وعقلياً ، لذلك ينبغي تغذيتهم بالقدر الكافي من الحليب وغيره من المواد الغذائية .

والضعف البدني الذي يتصف به الأطفال في هذه المرحلة ، هي منحة ربانية عظيمة ، فإذا ولد الطفل ، وهو يمشي ، ويركض لرافق نمو الخلايا البدنية والعصبية ضعف واضمحلال من حيث القوة والنشاط .

عند ذلك تقل أعمارهم ، وتظهر ملامح الشيخوخة والكهولة عليهم مبكراً ، الطفل يتعلم كيفية المشي على القدمين بعد تجاوزه سنة واحدة من عمره ، تمشي البنات قبل مشي الأولاد .

وإذا نظرنا إلى رأس الطفل وجدناه أكبر حجماً من رأس الكبار ، بالنسبة لباقي أعضاء بدنه .

فإذا بدأ الطفل المشي والزحف على قدميه ، فلا يعني ذلك أنه قد كبر ، فخطر سقوطه يبقى لاحقاً في أي الأحيان ، وكذلك لا يجب إعطاءه المواد الغذائية ، فالطفل ما زال يقطع أشواطه من مرحلة الرضاعة ، ولا يملك قدرة على التعبير لما يحبه ويرضاه ولما لا يريده ويأباه .

فعندما يحتاج إلى الغذاء يبدأ بالبكاء - الإنذار بخطر جسيم وقع فيه هذا المخلوق الصغير ، وعند ما يمتلئ بطنه يعبر عنه بابتسامة أو بنوم أو بانشغاله باللهو واللعب .

حين ما يكون الأطفال نائمين ، فنجدهم في بعض الأحيان يبتسمون ، وفي بعض الأحيان يبكون ويصحون من نومهم ، ففي الحالة الأولى هم يشاهدون الأحلام السعيدة ، وفي الأخرى تصادفهم الكوابيس المزعجة .

ما هي هذه الأحلام ، ولغتها وعالمها ، لم يستطع المهرة ، وأصحاب البحوث المتعلقة بالعلوم الإنسانية والنفسية الجواب عن هذه القضايا ولو بعد إجراء الآلاف البحوث والدراسات .

ولكن الشئ الذي يتفق عليه الجميع أن ما يراه الأطفال في نومهم ،

يترك طابعاً ، سيئاً كان أو حسناً على أذهانهم .

يميل ذهن الطفل إلى الضوء والأشياء التي تظهر حركتها بوضوح ، أو تكون المصدرة للصوت ، ذهن الطفل يتأثر بهذه الأشياء .

حين يبلغ الطفل ستة أشهر لا يستطيع ولا يقدر أن ينظر ، ويشاهد الأشياء بكلياتها ، بل يشاهدها بجزئياتها ، وإن كانت مشاهدته دقيقة ، وفي منتهى الدرجة من الوضوح .

لذلك لا تجذب أنظاره هذه القطارات المسرعة ، والطائرات ، والأقارب ، بل لعبته الصغيرة ، وألعابه الملونة ، ومصاصته ، و وجه والدته كافة هذه الأشياء تكون أعز عليه من مناظر حياتنا المبهرة للعيون والعقول .

وجود ضوضاء الطريق ، وإزعاجه يودّيان دوراً في تشتيت ذهن هذا الصغير لذلك نجده يصر على الذهاب إلى الخارج ، وفي سبيل ذلك يتوقف عن البكاء .

وهذه الآثار المدنية أو القروية تترك أثرها على كافة جوانب حياة الطفل .

فعلى سبيل المثال : ولدت طفلة في مدينة معروفة بازدحام الشوارع ، وامتلاء الطرق ، واعتادت أن تعيش مرحلتها الأولى من العمر في هذه المدينة "مومبائ" .

حتى ألفت السير على قدميها ، بعد مرور فترة من الزمن أتت مع جدتها إلى مدينة أخذت الطابع القروي ، مثل : "لاتور" فنزلت في المدينة أو القرية - بالنسة لها - في ليلة ظلماء ، فلم تشعر بأي اختلاف أو تغير ، وفي صباح اليوم التالي خرجت إلى فناء البيت ، فصرخت صياحاً شديداً ، وشعرت أن السماء ستقع على عقبيها ، لأنها ألفت الحياة المدنية ، والتي طالما بحثت فيها عن ضياء الشمس ، فلم تسمح لها ناطحات السحاب برؤيتها .

إذا لم تكن بيئة الطفل الابتدائية بيئة تهتم بالجانب التعليمي أو تميل إليه ، فلا فائدة من هذا الطفل في البيئة التعليمية .

وإذا أُرغم على التعلم ، وطلب العلم ، فلن نحصل على أذهان مبتكرة ، وعقول مفكرة ، وأدمغة مدبرة ، وشخصيات عبقرية ، ولابد من صدور بعض الأخطاء التي تظهر وتبرهن أنه الأول الذي اقتحم مجال التعليم من أسرته .

لابد أنكم شاهدتم أن بعض الذين يحتلون مناصب بارزة ، ويحملون شهادات رفيعة تصدر منهم بعض الأخطاء و العادات غير المألوفة ، والتي تكون أدلة ساطعة على ما ذكرناه آنفاً ، فعلى سبيل المثال :

١- سكب الشاي في الصحن والنفخ فيه حين الشرب .

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي الكريم ﷺ نهى عن النفخ في الشراب ، فقال رجل : القذاة ، أراها في الإناء ؟ فقال : "أهرقها" - أي أرقها - قال : إني لا أروي من نفس واحد ؟ قال : "فأبن القدح إذاً عن فيك" .

[رواه الترمذي]

٢- استعمال المنديل في تنظيف الرجل ، والأنف على السواء .

٣- العطاس بصوت عال ، وعدم وضع اليد على الفم حين يغلب النعاس .

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي الكريم ﷺ ، قال : "إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم ، وحَمِدَ الله تعالى كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب ، فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم ، فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان" .

[رواه البخاري]

وعن أبي هريرة ﷺ ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه ، وخفض - أي غض - بها صوته ، شك الرواي .

[رواه أبو داؤد والترمذي]

٥- التحدث بصوت عال .

قال تعالى : ﴿ واغضض من صوتك * إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

[سورة لقمان/١٩]

٦- قراءة الجريدة أو الكتاب بصوت عال حينما يكون جالساً في مجلس .

٧- التحدث بغير انقطاع من غير مبرر .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ قال : "ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه ، ولم يصلوا على نبيهم فيه ، إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم" .

[رواه الترمذي]

٨- الهجوم على الأكل بشراسة ونهامة ، وإخراج أصوات غير معتادة من الفم أثناء الأكل .

٩- الجلوس على الكرسي أو الأريكة مع رفع الرجلين .

علاوة على هذا يمتلك هؤلاء الأطفال بعض الأحيان نوعاً من العادات ، والتي لا تكون مجرد غير حضارية ، بل مستحقة للعقوبة والزجر ، بالطبع هذا المرء يقفه مكانته في المجتمع علاوة على ضياع فرص التعلم ، و لا يستطيع إنجاز عمل باهر مع كونه حاملاً لملامح الفطانة ، والذكاء .

وعلى العكس من ذلك نجد في بعض الأحيان أن الطفل لا يزول عن الطابع الذي انطبع عليه في صغره .

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى : سورة الكهف ، أتلوها يوم الجمعة (١) تعبداً وثواباً كعامة الناس .

---

(١) يرجع الفضل في ذلك إلى تربية أمي السيدة خير النساء ، التي كانت توصيني دائماً بقراءة هذه السورة الكريمة يوم الجمعة ، وتحاسبني عليها حيناً بعد حين ، حتى >>>

يذكر الأستاذ سعيد مرتضى الندوي في مقالاته المطبوعة بمجلة الرائد : "كان بلال - ابن فضيلة الشيخ محمد الحسني ، ابن أخ الشيخ الندوي - يؤزر له في الشيرواني ، فطلب منه المصحف ليقرأ سورة الكهف ، وكانت أمه رحمه الله عليها عودته منذ أن كان عمره ثماني سنين قبل التوجه إلى صلاة الجمعة ، فكان بعد ما يتهيأ للصلاة يقرأ سورة الكهف ، ثم يخرج إلى المسجد ، فأراد بلال أن يكمل التأزير حرصاً على صحته إذ كان الجو بارداً ، و قد استحم قبل قليل ، فطلب منه ثانياً ، و قبل أن يكمل بلال التأزير ، ويُحضر المصحف بدأ يقرأ سورة ياسين ، فاطمأن بلال ، و وجد الفرصة ليضبط له الغترة ، فيضعها على كتفه ، وقد فعل ، فإذا بالشيخ توقف لسانه ، ومال إلى الوراء ، فأمسكه بلال من جهة رأسه ، وأسرع الحاج عبد الرزاق إلى رجليه النازلتين من السرير - لينوماه على ظهره - فتلفظ نفسه الأخير ، وفاضت روحه المتشوقة إلى لقاء الرب .

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين * يقولون : سلام عليكم * أدخلوا الجنة بما كنتم تعلمون ﴾ .

[مجلة الرائد ، عدد ممتاز عن سماحة الشيخ الندوي : ص/٤٦]

فنتأمل ونتدبر من هذه القصة مدى اهتمام الشيخ الندوي بتلاوة آيات الله الحكيم ، ومحكم التنزيل حتى انطلق لسانه يتلو الآيات العطرة حتى وقت النزاع .

[للحديث بقية]

<<< حفظتها بكثرة قراءتي لها ، وكانت من السيدات المثقفات ، الثقافة الدينية ، حفظت القرآن ، ولها مؤلفات ، وشعر رقيق مطبوع تناجي به الله ، وتعبر فيه عن عواطفها الدينية ، توفيت إلى رحمة الله تعالى لست خلون من جمادي الآخرة ١٣٨٨هـ ، (الصراع بين الإيمان والمادية : ص/٧) .

★ صور و أوضاع :

بين الحقائق والأحلام

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الندوي

كتب أحد الكتاب في مجلة إنجليزية معروفة أن خطر انتفاضة الشعوب ، و إجبارها الحكومات على قبول رغباتها قد زال من العالم العربي ، لسيطرة الحكومات على شعوبها وقمعها لجميع الذرائع للانتفاضة ، أو الثورة ، وسدّ جميع منافذ تعرف بها الشعوب حقيقة الأمر بسيطرتها على وسائل الإعلام ، وإن هذا التصور مستفاد من الأوضاع السائدة في العالم العربي ، وفي أنحاء أخرى من العالم حيث تحكم الحكومات بقوة المخابرات ، والمحاكم التي تصدر الأحكام حسب ما تملى عليها وزارات الداخلية ، والإعلام الذي يروج آراء وأفكار الحكام ، و وسائل التسلية التي تلهى الشعوب عن مسئولياتها ، و تعطل صلاحياتها للفهم ، و الإدراك ، والتحرك ، وإقصاء أهل العقل الحر ، من مواقع التأثير على الشعوب ، ونظام التعليم الذي يربى الأجيال على قبول معايير الخير والشر الوافدة .

و ردّ على هذا المقال كاتب آخر ، فكتب يقول : إن تصور فصل الشعوب عن العالم الخارجي ، وتلقينها حسب تصور الحكام قد أصبح قديماً ، في هذا العالم الذي يغزوه الإعلام الإليكتروني ، الذي يعبر القارات ، ويغطى ما يحدث في أي جزء من العالم ، وينقله إلى جزء آخر من العالم ، وخاصة "الإنترنت" الذي لا يخضع لأي رقابة ، وقنوات التلفزيون الحرة ، قوية البث والإرسال ، ومقبولة البرامج .

صدق هذا المعلق في تعليقه ، فإن وسائل الإعلام المعاصرة تنقل إلى المستمعين والمشاهدين ، والقراء في جميع أنحاء العالم ما يسرّهم ، وما لا يسرهم ، وما فيه الحسنات والسيئات ، وما فيه حقائق ، وما فيه أحلام وتصورات شخصية ، ونزعات فردية ، وأما العالم الإسلامي فلا يتلقى من هذه الوسائل إلا ما يسوءه ، وما يحمله على الاستفزاز .

وقد اكتشفت محاولة بذلت عن طريق "الإنترنت" في السابق لترويج كلام يشبه الآيات القرآنية ، فاحتج عليه المسلمون ، وسحب هذا الكلام المهين بعد مدة بتدخل المنظمات الإسلامية ، وأخيراً اكتشفت محاولة أخرى ، لترويج كلام يتشبه بالقرآن ، نبّه الأزهر لخطورته ، فجاء في صحيفة العالم الإسلامي ، الصادرة من رابطة العالم الإسلامي :

"نبه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، المسئولين في المراكز ، والمجالس الإسلامية في إفريقيا ، وآسيا ، وأوربا إلى خطورة كتاب جديد يحمل إسماً مزعوماً ، وهو الفرقان ، يحاول التشبه بالقرآن الكريم في طباعته وتبويبه ، وبعض المعاني الواردة فيه ، وأكد الأزهر ضرورة توعية الجاليات الإسلامية في دول القارات الثلاث ، حتى لا يدخل عليهم التدليس والتلبيس الذي حاول بعض الخبثاء ، إدخاله على العامة ، باعتبار الكتاب المزعوم ، هو القرآن الكريم .

وذكر مسئول بالأزهر أن هدف الكتاب ، وصياغته يؤكدأن جهة تنصيرية تقف وراءه بهدف تنصير المسلمين ، والتشويش على عقائدهم ، وعبادتهم ، وشرائعهم الدينية" .

لقد بذلت قبل ذلك محاولات لتحريف بعض الآيات أو إدخال بعض الألفاظ أو تغييرها لتلائم مصالح أعداء الإسلام ، فاكتشفت هذه المحاولات ، ثم بذلت محاولة عن طريق "الإنترنت" ، وهذه هي المحاولة الجديدة للتدليس ، وتنقل وسائل الإعلام بين حين وآخرأخبار إساءة

الشركات التجارية لاسم الله جلّ جلاله ، والنبي الأعظم محمد رسول الله ﷺ رحمة للعالمين ما يجرح مشاعر المسلمين بالإضافة إلى المواد المضللة التي تشتمل عليها الكتب والمنشورات الصادرة من دور النشر العالمية في مختلف لغات العالم .

وهذه المحاولات ، للتدليس ، وللتضليل لعامة المسلمين ، ولتشويه أذهان غير المسلمين عن المسلمين تستمر منذ أن دخلت أوربا في معركة الصراع العلمي مع العالم الإسلامي ، بعد أن فشلت في الصراع المسلح معه .

وبالإضافة إلى محاولات التدليس في مصادر الشريعة الإسلامية ، تنتهز أوربا كل فرصة مواتية لها للتدخل في شئون العالم الإسلامي ، وتحويل الأحداث الواقعة فيه إلى مصلحتها ، وفرض هيمنتها عليه ، وعرض تأويلات وتفسيرات مضللة للأحداث فيه ، وإذا كانت الظروف هادئة تخلق صراعات ، لكيلا تعود إلى العالم الإسلامي ظروف الاستقرار ، وتحول وسائل إعلامها مسئولية هذه الأحداث إلى المسلمين أنفسهم ، وتتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب .

وإذا لم تكن في المنطقة صراعات ، تتكهن الوكالات الأوربية بحدوث الصراعات والأحداث في المستقبل ، لا صلة لها بالواقع ، وإنما هي من نسيج خيال من أعد هذه التقارير ، ولخضوع وسائل الإعلام لهذه العناصر المعادية للعالم الإسلامي تنتشر هذه الأفكار والتصورات ، وتصبح حديث المجالس ، وموضوع المناقشة لدى المثقفين ، و العقلاء ، و عامة الناس ، وتساور نفوسهم الشبهات ، وتتأثر بها المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ، والنظم السياسية ، ومثل هذه المحاولة لبث الشبهات في الأذهان ، ظهرت جلياً بنقل وسائل الإعلام لتقرير أعدته وكالة المخابرات الأمريكية أخيراً ، وانتشر هذا التقرير في العالم كله ، ونشرته سائر الصحف الكبرى ، جاء في هذا التقرير: أن المستقبل الذي ينتظره العرب إلى عام ٢٠١٥م مستقبل

مظلم ، ترتفع فيه نسبة البطالة بين الشباب ، والميل إلى التطرف ، والاستعداد لممارسة الإرهاب ، داخلياً وخارجياً ، ويرفض الشباب تلقى أي تأثير إيجابي من العالم الخارجي ، وإنهم يعيشون في مجتمعات قمعية .

وأوضح التقرير الذي تناول منطقة الشرق الأوسط ، وشمال إفريقيا، أن الحكومات لن تجيد إدارة شئون شعوبها ، وستعاني نقصاً في المواد ، ويحدث بينها التنافس ، وتزداد النعرات الاثنية ، والقبلية ، والطائفية .

وأكد التقرير أن الحكومات العربية سترفض أي إصلاح سياسي ، أو انفتاح إعلامي ، وستعجز عن تأمين الخدمات الضرورية ، للقطاعات المدنية والريفية ، كما تنبأ التقرير بأن منطقة الشرق الأوسط ، ستشهد صراعات ، وتنبأ بوجود حركات تمرد موجه إلى الأنظمة وداعميها .

وفي هذا التقرير تكهنات كثيرة عن العالم العربي ، وكذلك تصدر تكهنات من أوربا عن دول الشرق ، ولكن هذه الدوائر التي تصدر مثل هذه التكهنات التي تتطابق مع تصوراتها، بل أحلامها عن العالم الإسلامي تغض بصرها على مستقبل أوربا نفسها ، وعن مشاكلها الاقتصادية ، والصراعات الأثنية والعنصرية والقومية التي بدأت فيها ، وتهدد مصيرها .

ومثل هذا التكهن الذي كان أصلاً حلماً ، راود أحد مفكري الغرب ، هو التكهن بصدام الحضارات ، فنقل حلمه إلى واقع ، ونقلت فكرته الحلمية سائر الصحف ، و وسائل الإعلام ، وكان موضع نقاش ، وحوار على الصعيد العالمي .

في عام ١٩٩٢م نشرت الصحف محاضرة : "صمويل هنتينجتون (Samuvel Hantington) ، أستاذ العلوم السياسية ، ومدير مؤسسة جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة "هارورد" ، بعنوان : "صراع الحضارات" ، فثارت ضجة كبرى من الردود والتعليق .

وقبل ذلك كانت وسائل الإعلام العالمية ، قد نقلت فكرة خطر الإسلام ، والأصولية الإسلامية ، وذلك بعد انهيار الكيان السوفيتي الاشتراكي .

إن هذه التقارير ، والأخبار ، والأفكار ، التي تصبح بعد مناقشات أيديولوجيات ، ثم يظهر بطلانها وسطحيتها ، وتصبح حديث الماضي ، أو حديث خرافه ، ما هي إلا لإثارة الرأي العام ، واحداث استفزاز أو رد فعل في العالم الإسلامي ، أو لمعرفة حدة شعور المسلمين في العالم ، وصلاحيتهم للتحرك ، إزاء ما تخططه أوربا من مؤامرات ضد العالم الإسلامي ، وتبدو هذه التقارير في المرحلة الأولى دراسة وتحقيق وجهة نظر ، لكنها بعد رد الفعل ، والضجة التي تحدث بجرائها ، تصبح أحلاماً ، وأماني .

وتكون بعض هذه الأحلام قوية تدفع أوربا إلى اتخاذ إجراءات لتحقيقها ، كحلم تحريف القرآن الكريم ، وحلم قطع صلة المسلمين بذات الرسول الحبيب الكريم ﷺ ، وحلم تشتيت شمل المسلمين ، وتصارعهم ، وحلم إزالة ثقة المسلمين في السنة ، والتاريخ الإسلامي ، وحلم القضاء على غيرة المسلمين ، وحميتهم ، فتأتي حيناً بعد حين بمحاولات لاختبار نجاح مخططاتها لتحقيق هذه الأحلام ، وكان من هذا القبيل كتاب الآيات الشيطانية ، الذي نال تغطية عالمية كبرى ، وأصبح الموضوع العالمي .

إن دراسة طبيعة حملة القلم ، وأصحاب الفكر في أوربا تدل على أنهم يعيشون بين واقع وحلم ، ففي بعض المحاولات أنهم واقعيون ، موقفهم يقوم على الدراسة والتحليل ، وخياليون ، وحالمون ، يقوم موقفهم على الخيال والمشاعر ، والأماني ، فلابد من التفريق بينهما لدى اتخاذ المواقف إزاء أفكارهم ومذاهبهم .

★ ★ ★

إلى رحمة الله تعالى:

الأستاذ الدكتور محمد يونس النجرامي الندوي

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س. أ)

فجعت أسرة ندوة العلماء، والأوساط العلمية والدينية في الهند بوفاة الأستاذ الدكتور محمد يونس النجرامي الندوي، صباح عرفة ١٤٢١هـ، المصادف يوم الأحد ٤/من شهر مارس ٢٠٠١م، عن عمر يناهز ستين عاماً، وذلك بعد ما عانى من شدة المرض أسبوعاً كاملاً في مؤسسة سنجَي غاندي الطبية في مدينة لكناؤ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عاش الدكتور النجرامي حياة حافلة بأنواع من النشاطات العلمية والدينية والاجتماعية، فقد كان من كبار أساتذة جامعة لكناؤ بقسم اللغة العربية، وداعية إلى الله تعالى بأسلوب حكيم متزن، ومربياً إسلامياً في الأوساط الجامعية والثقافية، ولتحقيق هذا الغرض كان قد أسس جمعية المثقفين المسلمين في لكناؤ بإشراف سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى، فكان يعمل تحت إشراف هذه الجمعية أعمالاً جليلة من عقد المؤتمرات الثقافية والإسلامية، وإنشاء المدارس والمساجد، والإسهام في المشاريع الإسلامية التعليمية، والصحافة الهادفة، وإصدار صحف ودوريات في المناسبات المختلفة، وقد اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة مستشاراً دينياً لها في الهند، فكان يؤدي مسئوليته نحو ذلك بدقة وأمانة، ويزود الرابطة والصحافة الإسلامية في الدول الإسلامية بأفكاره وآرائه وتعليقاته وبأنباء المسلمين في الهند، ونشاطاتهم ونشاطات الأحزاب والجماعات المتطرفة فيها، وكان له ركن خاص يكتب فيه بغاية من المواظبة والاستمرارية بعنوان: "نافذة على الهند" في صحيفة: "الرائد" العربية الصادرة من ندوة العلماء (الهند)، كما كان له إسهام في نشر البحوث والمقالات العلمية في مجلة: "البعث الإسلامي"، وكانت الصحف الإسلامية في الدول العربية تتناقل مقالاته والموضوعات

التي كانت تنشر عبر صفحات الجرائد العربية الإسلامية، وتتعلق بأحوال المسلمين في الهند.

كان ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين، الساكنة في بلدة "نجرام" بالولاية الشمالية الهندية، والده العلامة الشيخ محمد أويس الندوي رحمه الله، شيخ التفسير الأسبق بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، ولد الراحل الكريم في عام ١٩٤١م، ودرس في دار العلوم لندوة العلماء حيث تخرج من الدراسات العليا في كلية الشريعة وأصول الدين، ثم سافر إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في أول فوج من متخرجي الندوة لمزيد من الدراسة والاستفادة، وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة لكناؤ، وعلى شهادة "دي.لت" من الجامعة نفسها، وعُيّن فيها مدرساً حتى تدرج إلى درجة الأستاذ، وقد كانت له جولات علمية ودعوية وثقافية إلى معظم أقطار العالم، وكان آخر رحلته خارج الهند إلى اليابان في آخر مايو المنصرم كمرافق لسعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي، رئيس ندوة العلماء العام، للحضور في المؤتمر العالمي، حول: "آسيا الشرقية والعالم الإسلامي" الذي عقده المركز الإسلامي في "طوكيو"، كما كان الفقيد عضواً عاملاً في المجلس التنفيذي لندوة العلماء، وقد نال جائزة رئيس الجمهورية الهندية في عام ١٩٩٢م تقديراً لخدماته في مجال اللغة العربية، والأدب العربي.

كان يتميز بالأخلاق الفاضلة والجهد الدائب في سبيل الهدف، وروح من التعاون على الخير والنصح للآخرين، وقد اختير رئيساً للإكاديمية الأردية في عاصمة "أترابراديش" مرتين، على المستوى الرسمي، فأنجز عن طريقها أعمالاً جليلة في مجال تعليم ونشر اللغة الأردية بإنشاء مدارس ليلية، وعقد مؤتمرات حول شخصيات إسلامية كبيرة، وكان يُدعى إلى المؤتمرات العالمية، ويزور مقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة على مدار كل عام، وقد صدر بقلمه مؤلفات عديدة قيمة باللغة الأردية والعربية.

كانت وفاته خسارة ملموسة في كل شعبة من شعب الحياة ، وبفقده فقدنا عضواً عاملاً نشيطاً في أسرة المجتمع الإسلامي على الصعيد العالمي .

عقدت حفلة عزاء على الفقيد في جامع دار العلوم لندوة العلماء ، تحدث فيها رئيس ندوة العلماء العام سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وسعادة الدكتور الشيخ عبد الله عباس الندوي ، المستشار التعلمي لندوة العلماء ، كما عقدت حفلات عزائية في كثير من المدارس والجامعات والجمعيات في الهند ، ونشرت الجرائد اليومية نبأ وفاته بعناوين جلية وعلى الصفحات الأولى .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعله ممن أنعم عليهم من عباده المخلصين المحسنين ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

★★★

رحلة الأستاذ محمد شبير الندوي

إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بأحد أبناء الندوة القدامى الأستاذ محمد شبير الندوي في مدينة "دهلي" ، حيث كان مقيماً في المنطقة المجاورة بالجامعة الملية الإسلامية ، وقد قضى معظم أيام حياته موظفاً إدارياً في هذه الجامعة ، بغاية من الشعور بالمسئولية ، والدقة والأمانة ، ثم تقاعد عن العمل ، واستوطن هناك ، وبنى داراً واسعةً لأسرته التي كان يعولها ، وقد ألم به مرض سبب له الضعف والانهيار الصحي ، حتى وافاه الأجل ليلة الجمعة قبل طلوع الفجر بساعتين في ٦/من شهر ذي الحجة الحرام ١٤٢١هـ ، الموافق ٢/مارس عام ٢٠٠١م ، فصُلي عليه بعد صلاة الجمعة في مسجد الجامعة الكبير ، ودفن في مقبرتها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم أحد تلاميذ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، فظل مرتبطاً به إلى آخر حياته ، كان يحبه ويحب ندوة العلماء من أعماق القلب ، وطالما كان يزورهما ، ويقضي أياماً جميلة في أجواء دار العلوم ، ومع أحبته فيها ، وكان له إسهام

وجيه في الإعدادات الأساسية لمهرجان ندوة العلماء الذي أقيم بمناسبة مرور ٨٥/عاماً على تأسيسها ، على مستوى رفيع مشرف ، وذلك في عام ١٩٧٥م .

وقد تلقى النبأ الحزين أوساط الندوة ومدارسها ، وأبناؤها بشئ كثير من الأسف والأسى ، وأعلن عن ذلك بعد صلاة الفجر في جامع دار العلوم لندوة العلماء ، وكان النبأ بمثابة صدمة عنيفة للأسرة الندويّة الواسعة ، وكان قد رزقه الله تعالى عمراً طويلاً عامراً بالأعمال الجليلة .

كان الفقيد ذا خلق كريم ، وعلى جانب كبير من التصلب في الدين ، وكان مثالاً للجمع بين القول والعمل بإخلاص ، له من المآثر الحميدة ، ما هو جدير بالاتباع ، وقد خلف وراءه أسرة مؤلفة من البنين والبنات ، والأهل والأولاد ، غفر الله زلاته ، وتغمده بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب قريب .

الأخ العزيز محمد زبير الندوي البهتكلي

بجوار رحمة الله تعالى

الأخ العزيز محمد زبير ، أحد طلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة لدار العلوم ندوة العلماء ، توفي فجاءة خلال مطالعته لكتاب : "السيرة النبوية" لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) ، وذلك بدون مرض مسبق أو أمارات من المرض ، فقد كان يعيش مع زملائه حسب العادة ، ولم يكن حتى قبل وفاته أي أثر يشير إلى الحادث المفاجئ ، حدث ذلك ليلة السبت ٢٨/ذيقعدة ١٤٢١هـ ، المصادف ٢٣/فبراير ٢٠٠١م .

كان الأخ الراحل قد التحق إلى معهد دار العلوم ندوة العلماء ، وتدرج إلى دراسة العلوم العربية والإسلامية ، حتى تخرج من مرحلة العالمية في العام المنصرم ، وكان يتابع في هذا العام دروس الحديث الشريف ، والفقه الإسلامي ، بكلية الشريعة ، وكان ينوي أن يشتغل بعمل تعليمي بعد إتمام دراسته ، إلا أن الأجل لم يمهله ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى فجاءة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل العزيز طالباً مجتهداً في اكتساب العلم والمعرفة ، فكان يعرف قيمة الوقت ، ويستفيد منه كامل الاستفادة ، وكان يداوم على

الحضور في مجالس سماحة الإمام الندوي رحمه الله ، وكان الله تعالى قد أكرمه بخلق كريم ، فيساعد جماعات الطلبة في جميع شئونهم التعليمية والتربوية ، وبذلك كسب احترام الجميع ، وعرف بين أوساط الطلبة والأساتذة بأخلاقه الفاضلة .

عقدت حفلة عزاء على وفاته في رواق عبد الحي شاركها عدد من الأساتذة والمسئولين عن إدارة دار العلوم ، وتحدث كل منهم عن انطباعاته نحو الحادث المفاجئ .

رحمه الله وتغمده بواسع رحمته ومغفرته ، وجعل الجنة مثواه ، و ألهم والديه وذويه وزملاءه الصبر والسلوان ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

كلمة عزاء إلى سعادة الشيخ محمد العميل (الرياض)

تلقينا نبأ حزيناً من الرياض بوفاة نجلي سعادة الشيخ محمد صالح العميل ، وكيل الوزارة المالية المساعد ، وهما الأخ السيد صالح بن محمد العميل ، والسيد أحمد محمد العميل ، اللذين توفيا عقب حادث سيارة في ٦/من شهر ذي القعدة ١٤٢١هـ ، الموافق ٣١/من شهر يناير ٢٠٠١م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الحادث فاجعاً والخطب جسيماً ، فإن ذهاب الابنين الشابين الصالحين معاً ، و وفاتهما المفاجئة والمفجعة ، لم يكن أمراً هيناً ، ولكن الله تعالى أكرم الوالدين بالصبر والاحتساب ، وتحمل المصيبة ، ونرجو الله سبحانه أن يجعلهما من ذخائر الآخرة ، وذريعة إلى مرضاة الله تعالى ، والحصول على نعمه في الدنيا والآخرة .

ونحن إذ نتقدم إلى الأبوين الكريمين بكلمة العزاء والدعاء نبتهل إلى الله سبحانه أن يعوضهما عنهما ما يكون لهما قرة العين ، وبهجة القلب ، وزاد الآخرة ، وأن يستبدل الحزن بالسرور ، والأسى بالسلوان ، وندعو الله أن يتغمد الفقيدين العزيزين بواسع رحمته ، ويسكنهما فسيح جناته ، فإنه سميع مجيب قريب .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

★★★

إصدارات حديثة :

نزهة الطلاب في مناقب الأصحاب

قلم التحرير (س.أ.)

هذا الكتاب من مؤلفات سليمان بن جعفر محي الدين أبي الفضل الأسنوي المصري الشافعي ، (م ٧٥٦هـ) ، وهو خال المحدث الفقيه جمال الدين الأسنوي (م ٧٧٢هـ) ، الذي يتحدث عن خاله سليمان ، فيقول : إن خاله كان ألف طبقات الشافعية ، ولكنه توفي وكان الكتاب في صورة المسودة .

يقول محقق الكتاب الأستاذ الدكتور الحافظ عبد العليم خان ، رئيس القسم الديني السُنّي ، وعميد كلية أصول الدين سابقاً بجامعة عليكره الإسلامية في الهند :

"قد اطلع كاتب (هذه السطور) على جزء منها المسمى : "بنزهة الطلاب في مناقب الأصحاب" في آخر المجلد الثاني من طبقات الشافعية لابن كثير (م ٧٧٤هـ) ، وهي محفوظة بمكتبة (جستربتي دبلن - آئر لاند) ، كما كانت مخطوطة لهذا الكتاب محفوظة في مكتبة خدا بخش بتنه (الهند) .

بذل المحقق الفاضل مجهودات ضخمة ، ومشكورة في تحقيق هذا الكتاب ونشره ، والكتاب زيادة ثمينة في طبقات الشافعية ، يحتوي على ١٠١/من تراجم أصحاب الشافعي رحمه الله ، وهو قمين بالاستفادة والاطلاع على تراجم هؤلاء الأئمة الكبار من أصحاب الشافعي رحمه الله .

تولت نشره وتوزيعه جامعة عليكراه الإسلامية في الهند .

المنهج الإسلامي السليم

إنها طبعة جديدة لكتاب مؤسس مجلة البعث الإسلامي ، ورئيس تحريرها سابقاً الأستاذ السيد محمد الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، وهو مجموعة من مقالاته القيمة التي نشرت عبر صفحات المجلة في أوقات مختلفة ، وتحت دوافع إيمانية جياشة ، وقد تحدث عن قيمة هذا الكتاب القيم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في تقديمه الضافي على الكتاب ، فقال :

"جيلنا الناشئ الجديد في حاجة إلى مثل هذه الكتابات القوية الأصيلة في الفكر ، لإعادة الثقة إلى نفسه بالعودة إلى دينه ، وكتاب الله الخالد ، وتعاليمه القائدة للأجيال البشرية على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وإعداد قيادة الركب البشري ، والحسبة على العالم ، وتحمل مسئولية الوصاية على البشرية ،

والاعتزاز بالدين ، والقيم والمثل التي دعا إليها ، وباعتبار نبي الإنسانية الأخير الخالد ، خاتم الرسل ومنير السبل وإمام الكل" .

الأحوال والمعاملات المعاصرة في الفقه الإسلامي

هذا الكتاب أهداه إلينا معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان ، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية سابقاً في دولة الكويت ، وهو قبل كل شئ عالم ، داعية ، ومفكر إسلامي ، له من الآثار العلمية ، والمؤلفات القيمة ما هو متداول بين أوساط العلم والدعوة ، وقد نشرت ولإتزال تنشر مجلة "البعث الإسلامي" له بحوثاً وكتابات علمية قيمة ، مما نال قبولاً وتقديراً في الأوساط العلمية والفكرية .

وهذا الكتاب الجديد تعرّض فيه المؤلف الكريم لبعض المسائل التي جدت في العالم المعاصر ، ولم تكن موجودة في السابق على حد تعبير المؤلف ، الذي يقول في مقدمته : "حاولت أن أتعرض لبعض المسائل التي جدّت في الحياة المعاصرة ، والتي لم تكن موجودة في السابق كمسائل البصمة ، وزراعة الأعضاء ، والبنوك ، والصرف ، وغيرها ، وقد أسميته : "الفقه المعاصر في المعاملات والأحوال المدنية والتجارية" ، وقسمته إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : ذكرت فيه ما جد مما يتعلق من مسائل الأحوال الشخصية ، أو ما هو قريب منها ، من الحقوق الشخصية ، كالوقف والتصوير واللباس واللهو ونحوها ، وذكرت في القسم الثاني المعاملات المدنية ، مثل العقود المسماة والعمل والملكية ، وذكرت في القسم الثالث : المعاملات التجارية ، المتعلقة بالبنوك والصرف وغيرها" .

"النهضة الإسلامية"
مجلة إسلامية فصلية جامعة

صدرت هذه المجلة منذ سنوات عديدة ماضية ، تحت إشراف فضيلة الشيخ محمد باقر حسين حفظه الله ، رئيس دار العلوم الإسلامية ، ببلدة "بستي" الهند ، ولكنها كانت قد توقفت لأسباب قاسرة ، ثم استأنفت صدورها بلباس جديد ، و تنسيق حديث ، مزودة بمقالات دسمة جيدة بأقلام الكتاب النابهين ، برئاسة تحرير الأستاذين الفاضلين : محمد أسجد القاسمي الندوي ، وشهاب الدين الندوي .

ونحن إذ نهنئ الزميلة على عودتها إلى الساحة الصحفية في سلامة الله تعالى ، نتمنى لها ازدهاراً واتساعاً في مجال الصحافة الإسلامية العربية في الهند .

★★★

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب **"البعث الإسلامي"**

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء – ص. ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص. ب٩٣ – **مؤسسة الصحافة والنشر**

ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)

We are proud to be Indians

DECLARATION

AL-BASS-EL-ISLAMI (Monthly)

Place of Publication : Nadwatul Ulama, Tagore Marg, Lucknow-226007 (U.P.)

Printer/Publisher : Athar Husain,

Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi

Nationality : Indian

R.N.I.No. UPARA/2000/2341, Phone : 788166-788442-787308

Regd. No. LW-NP/64/2001 March 2001